الموت

من سلسلة متعة العلم

د.غفار محمد

العقل ...

الإهداء :

إلى كل قلق من الموت ، عش حياتك بأعمق تفاصيلها ، فما الموت سوى بوابة عبور بين حياتين ، و ما مرارته إلا من خوفه..

الموت ...

" الموت ليس إلا انتقالاً من ضفة إلى ضفة أخرى ، و ما القبر إلا معبر ضيق نحو اتساعٍ أعظم ."

جبران خليل جبران

الموت ...

محتوى الكتاب

- الموت بين الشائع و الطب
  - الموت في مقبرة التاريخ
- الألم و الموت
  - الموت من منظور الأديان
- الحيّ الذي لا يموت
  - عاد من الموت
- **DIE HARD**
  - الموت الرحيم
- الموت في الأساطير الشعبية
  - الموت في عالم الفنّ

الموت ...

الموت بين الشائع و الطب

الموت ... تلك الكلمة التي تُقال همسًا كأنها سرّ، أو تُلقى فجأة كالصاعقة، فتُسكت الضجيج في داخلنا. هو أقدم أسئلة البشر، وأعمق مخاوفهم، وأكثر حقائقهم يقينًا. منذ أن وعى الإنسان ذاته، وهو يحاول أن يفهم هذه اللحظة الفاصلة : **متى تنتهي الحياة ؟ وكيف نعرف أن الرحلة قد اكتملت ؟** ولعل أول ما فعله الإنسان أمام الموت لم يكن الفهم، بل الدهشة، ثم الحزن، ثم محاولة إعطاء النهاية اسمًا ومعنى. فالموت ليس مجرد حدث، بل تجربة يعيشها الأحياء أكثر مما يعيشها الراحلون .

وبين ما يتداوله الناس في أحاديثهم اليومية، وما تقرره العلوم الطبية في صمت غرف العناية المشددة، تتشكل مسافتان متجاورتان ... لكنهما ليستا متطابقتين. مسافة بين شعور غامض وحقيقة قابلة للقياس، بين القلب الذي نحسه، والدماغ الذي يفسره العلم.

في الوعي الشائع، يبدو الموت بسيط التعريف، حاسم الصورة. يقول الناس إن **الإنسان يموت حين يتوقف قلبه عن الخفقان، وحين " تخرج الروح " ويبرد الجسد وتُغلق العينان على آخر**

مشهد من العالم. هو نهاية الطريق، انطفاء المصباح، وسكون الحركة. وفي لحظات الاحتضار، يخفت الكلام حول السرير، تُقرأ الأدعية، ويُراقَب الصدر كأنه آخر خيط يربط الإنسان بالحياة. هذا الفهم، وإن بدا بسيطًا، يحمل في داخله عمقًا إنسانيًا كبيرًا؛ فالقلب في المخيال الجمعي ليس مضخة دم، بل مركز الوجدان، ومرآة الحب والخوف والشجاعة.

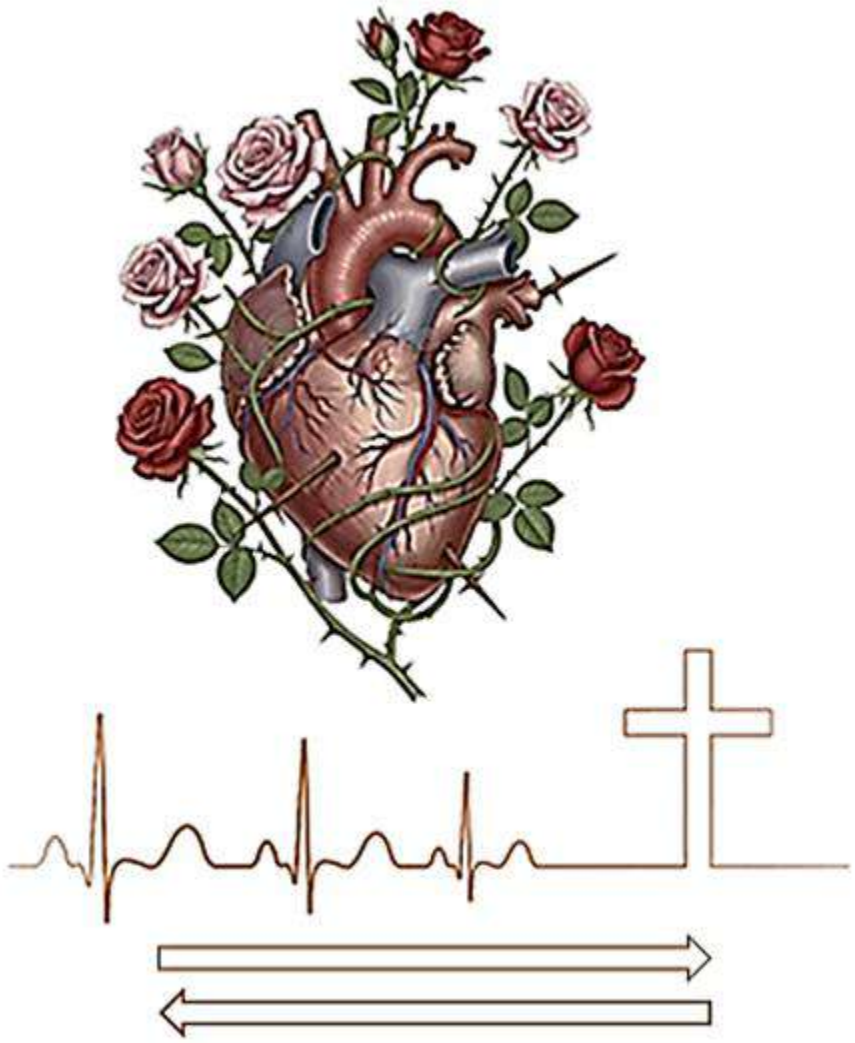

غير أن الطب، وهو يقترب من الموت لا بوصفه لغزًا وجوديًا بل كحالة بيولوجية، اضطر إلى أن يكون أكثر دقة وأشد صرامة. فمع **تطور أجهزة الإنعاش،** لم يعد توقف القلب وحده كافيًا ليُقال إن الإنسان قد مات. القلب يمكن أن يتوقف ثم يعود، والرئتان يمكن أن تتوقفا ثم تُجبرا على التنفس، والجسد قد يبدو ساكنًا ثم يُستدعى من

حافة الغياب. عندها، بدأ الطب يكتشف أن الحياة أعقد من نبضة، وأن الموت ليس زرًا يُطفأ بضغطة واحدة.

هنا، انتقل مركز السؤال من الصدر إلى الرأس، من القلب إلى الدماغ. لم يعد المهم فقط أن الدم يدور، بل أن هناك من يعي هذا الدوران، ومن يعطيه معنى. ففي النظرة الطبية الحديثة، يصبح الموت لحظة **فقدان لا رجعة فيه**، لا وظيفة عابرة توقفت، بل نظامًا كاملًا انهار ولم يعد قابلًا للإصلاح.

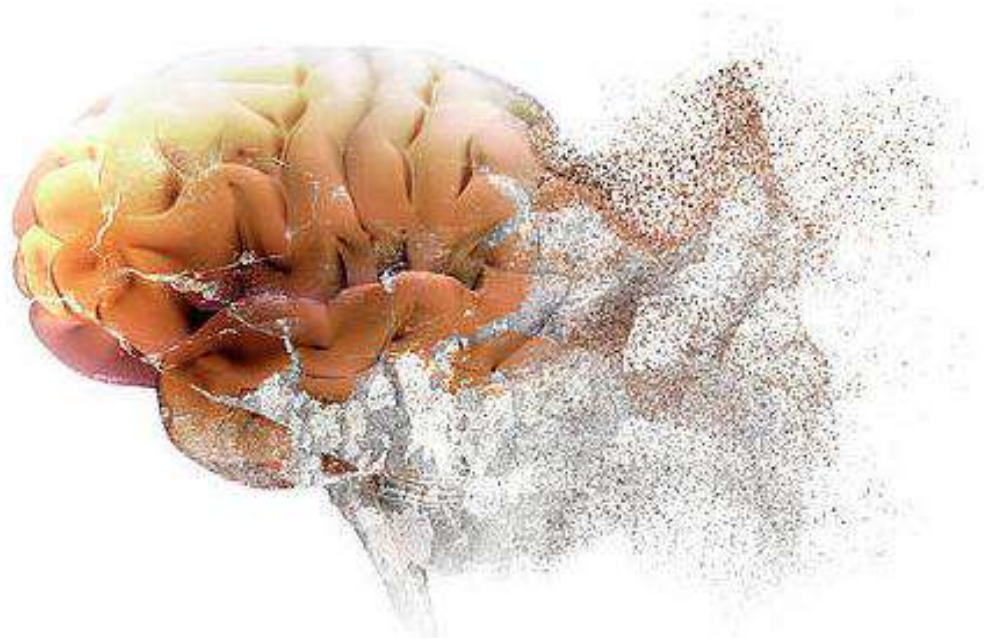

وحين يتوقف الدماغ عن العمل توقفًا نهائيًا، حين تصمت مراكزه العليا التي تُنتج الوعي، ويخمد جذعه العميق الذي ينظّم التنفس والنبض وردود الفعل البدائية، عندها فقط يُقال إن الإنسان قد عبر الخط الأخير. قد يستمر القلب بالخفقان بفعل الأجهزة، وقد يظل الصدر يرتفع وينخفض بآلات لا تعرف التعب، لكن هذا الجسد، في لغة الطب، لم يعد حيًا؛ لأن الحياة لم تعد تسكنه، بل تُدار له من الخارج، كمدينة انطفأ سكانها وبقيت أنوارها مضاءة آليًا.

ويبلغ هذا الفهم ذروته فيما يُعرف **بموت الدماغ**، حيث يغيب الوعي غيابًا مطلقًا، وتنعدم الاستجابة لأي مؤثر، وتختفي تلك الإشارات العصبية التي كانت تدل على حضور الإنسان في جسده.

هنا، لا يعود الزمن عاملًا للشفاء، بل شاهدًا على الاستحالة. الطب في هذه اللحظة لا يتعجل الحكم، بل يتريث، يكرر الفحص، ويتأكد، كأنه هو نفسه يقف بخشوع أمام إعلان النهاية.

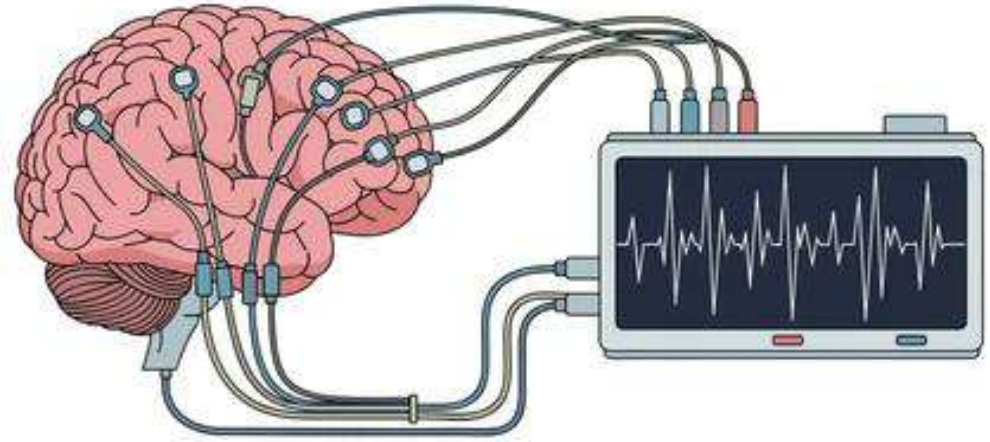

وغالبًا ما تتجلى المأساة الإنسانية في هذه المنطقة الرمادية؛ حين تقف العائلة أمام جسد دافئ، نبضه مسموع، وجلده لم يبرد بعد، ويأتيها صوت الطبيب هادئًا : "لقد مات". عندها يصطدم الإحساس بالحقيقة، وتتصارع صورتان للموت : صورة يراها القلب، وصورة يثبتها العلم. لا يكون الخلاف هنا إنكارًا، بل حيرة، وسؤالًا موجعًا : **كيف يموت من لا يزال يبدو حيًا ؟**

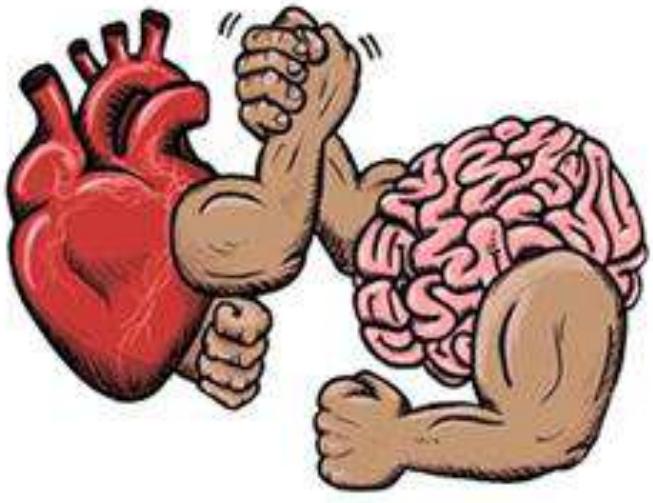

وهكذا، يظهر التباين بين الفهمين. **الناس يرون الموت حدثًا فجائيًا، لحظة واحدة واضحة المعالم، أما الطب فيراه عملية**

تُقاس، وتُختبر، وتُؤكَّد، لأن الخطأ فيها لا يُغتفر. ومع ذلك، فليس بينهما تناقض حقيقي، بل اختلاف زاوية نظر. ما يسميه الناس "**خروج الروح**"، يسميه الطب "**الفقدان النهائي لوظائف الدماغ**"، وما يراه العامة سكونًا، يراه الطبيب توقفًا لا رجعة فيه للتنظيم الحيوي الذي يجعل الإنسان إنسانًا.

وفي النهاية، يبقى الموت أكبر من كل التعاريف. **لا الطب ينتقص من رهبة لحظته، ولا الفهم الشعبي يلغي دقته العلمية.** هو **الحقيقة التي تضع الجميع على قدم المساواة**، وتجعل القلب والدماغ، الروح والجسد، العلم والإيمان، يقفون جميعًا عند عتبة واحدة. قد نختلف في تفسير اللحظة، في علاماتها ومعاييرها، لكننا نتفق – صامتين أو ناطقين – على أنها النهاية التي تمنح للحياة معناها، وتجعل لكل نبضة، ولكل فكرة، ولكل نفس، قيمة لا تُعوَّض. فالكون بما فيه لا يمكن اختزاله إلى حياة لوحدها و لا إلى موت بمفرده ، إنه الفضاء الذي يحتضن كل شيء و يقف فيه الموت و الحياة جنباً إلى جنب ، كخيمة شاملة تحتوي الأضداد كلها تحتها .

الموت في

مقبرة التاريخ

منذ أن فتح الإنسان عينيه على العالم، لم يكن الموت حدثًا عابرًا في حياته، بل كان السؤال الأكبر الذي ظلّ يرافقه كظلٍّ لا ينفصل عنه منذ رأى أخاه الإنسان تهمد أنفاسه ، يجمد في مكانه ثم يتحلل إلى عظامٍ و رميم . سؤالٌ سابقٌ للغة، أقدم من الفلسفة، وأعمق من العلم :

لماذا نموت ؟ وإلى أين نمضي ؟

إنسان الكهف : الدهشة الأولى أمام الغياب

في فجر الإنسانية، حين كان إنسان الكهف يحدّق في جسد رفيقه المسجّى بلا حركة، لم يكن يملك تفسيرًا ولا لغةً ولا عقيدة، بل دهشةً خامًا وصمتًا كثيفًا. كان الموت عنده لغزًا فجائيًا، قطيعةً مفزعة بين الحركة والسكون. ومع ذلك، لم يكن الغياب مطلقًا في مخيلته؛ **فدفن الموتى مع أدواتهم، ورسم الأيدي على جدران الكهوف**، كان اعترافًا بدائيًا بأن الراحل لم ينتهِ تمامًا، وأن شيئًا منه ما يزال يعبر إلى جهةٍ أخرى غير مرئية أو معروفة. هكذا وُلد أول تصور للموت : **غياب الجسد، لا فناء الوجود.**

الحضارات القديمة : الموت بوابة لا نهاية

مع نشوء الحضارات، صار الموت أكثر انتظامًا في الفكر، وأقل فوضى في الشعور. في **مصر القديمة**، لم يكن الموت نهاية الرحلة بل ذروتها؛ الحياة الأرضية لم تكن سوى إعدادٍ دقيق للحياة الأخرى. **الأهرامات** لم تكن قبورًا فحسب، بل بيانات فلسفية حجرية تقول إن **الإنسان خُلق ليستمر، وأن الجسد يموت كي تعبر الروح ميزان العدالة** .. حيث يمر الفرعوني بساعات الليل الاثنتي عشر ثم يصل العالم الأخير (**الدوات**) ، و فيه يحاسب و يوزن قلبه في محكمة أوزيريس .

و في **بلاد الرافدين**، كان الموت ظلًا ثقيلًا، **عالمًا سفليًا باهتًا** يدعى (**كور**) ، حيث **لا مكافأة عظيمة و لا عقاب عادل و لا خلود مشرق بل عيش دائم كظلال شاحبة** . وهنا ظهر أول حزنٍ وجودي واضح : حتى الآلهة لا تمنح الإنسان خلاصًا كاملًا من الفناء. كان الموت قدرًا لا يُتحدّى، بل يُروى بالحكايات ويُخفف بالشعر.

أما في **بلاد الهند** لاحقاً ، فلم يكون الموت نهاية الطريق ، بل مجرد **لحظة عابرة تنتقل فيها الروح بين جسدين بالتقمص ، ليولد الإنسان من جديد في دورة أبدية ..**

الفلسفة اليونانية : الموت فكرة تُفكَّر

مع اليونان، دخل الموت حقل العقل. لم يعد مجرد حدث كوني أومصير أسطوري، بل صار **موضوعًا للتأمل والمنطق**. رأى **أفلاطون** أن الموت **تحررٌ للروح من سجن الجسد**، وأن الفلسفة ليست إلا تدريبًا طويلًا على الموت. أما **أرسطو**، فاقترب من الواقع أكثر، فرأى **الإنسان ككائن فانٍ، تكتمل معانيه بالفعل والعمل لا بالخلود.**

وفي الجانب الآخر، جاء **أبيقور** ليجرّد الموت من رهبته قائلاً : **(حين نكون، لا يكون الموت، وحين يكون الموت، لا نكون.)**
هنا تحوّل الموت من شبحٍ مخيف إلى فكرة عقلية لا تستحق الخوف، بل الفهم.

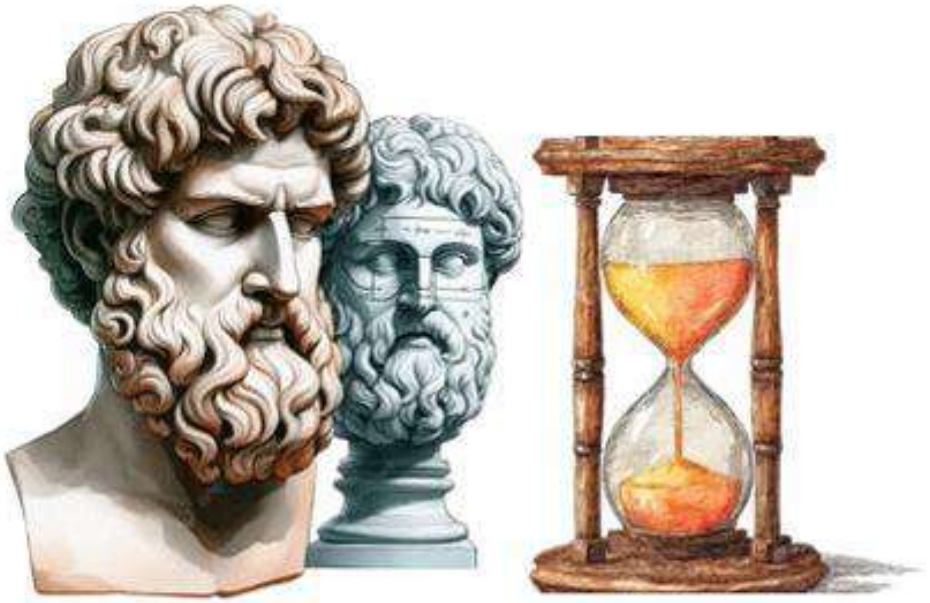

العصور الدينية : الموت امتحان ومعبر

مع الديانات الكبرى، **اكتسب الموت بعدًا أخلاقيًا عميقًا**. لم يعد مجرد انتقال، بل محاكمة. الحياة صارت سؤالًا، والموت صار الجواب. في الفكر الديني، **لم يكن الموت عبثًا، بل عدلًا مؤجلًا، ونقطة فاصلة بين زمن العمل وزمن الحساب**. وهكذا تحوّل

الخوف من الموت إلى خوفٍ من المعنى : **ماذا فعل الإنسان بحياته قبل أن يغادرها ؟**

في هذه المرحلة، توازن الإنسان بين الرهبة والرجاء؛ **رهبة النهاية و الحساب العلني ، ورجاء الخلود الأبدي .** الموت هنا لم يُلغِ الحياة، بل منحها وزنها الأخلاقي الكامل.

العصور الحديثة : الموت كحدٍّ علمي

مع صعود العلم، بدأ الموت يفقد غموضه المقدس شيئًا فشيئًا. صار **توقفًا للوظائف، وتعطّلًا للأنسجة، وانطفاءً كهربائيًا في الدماغ.** لم يعد لغزًا ميتافيزيقيًا بقدر ما صار تحديًا طبيًا. الإنسان الحديث لم يعد يسأل : **لماذا نموت ؟** بل : **كيف نؤخر الموت ؟**

ومع ذلك، كلما تقدّم العلم، ازداد السؤال عمقًا. فالعلم يشرح آلية الموت، لكنه لا يمنح الإنسان عزاءه. يصف اللحظة، لكنه لا يفسّر الفقد. وهكذا، عاد الموت ليقف أمام الإنسان الحديث، لا كعدوٍّ مجهول، بل كحقيقةٍ مكشوفة... وأكثر إيلامًا.

الإنسان المعاصر : بين الإنكار والتأمل

اليوم، يعيش الإنسان مفارقة غريبة : **لم يعرف الموت علميًا أكثر مما يعرفه الآن، ومع ذلك لم يكن أكثر هروبًا منه كما هو اليوم.** يُخفيه في المستشفيات، ويجمّله في الكلمات، ويتجنّب ذكره في الحياة اليومية. لكنه، في العمق، ما يزال يسأل السؤال ذاته الذي سأله إنسان الكهف : **أين يذهب الراحلون ؟ هل هناك حقاً حياة بعد الموت ؟**

وفي الأدب والفن والفلسفة المعاصرة، عاد الموت ليكون مرآةً للحياة لا نقيضًا لها. صار تذكيرًا بأن القيمة لا تكمن في طول العمر ، بل في الامتلاء الأخلاقي ، وأن المعنى لا يُقاس بعدد السنوات، بل بعمق الأثر.

تعددت الأسباب و الموت واحد، و الفهمُ متغيّر

تغيّر فهم الإنسان للموت عبر العصور، لكن الموت نفسه لم يتغيّر.

هو **الثابت الوحيد في تاريخٍ متحرّك**. كل حضارة أعادت تفسيره بلغتها، وكل عصر ألبسه ثوبًا يناسب قلقه وأسئلته.

وربما، في نهاية التأمل، لا يكون السؤال الحقيقي هو :

ما الموت ؟

بل :

كيف نعيش ونحن نعرف أنه قادم ؟

فالموت، في جوهره، لم يكن يومًا نقيض الحياة، بل ظلّها العميق... ذلك الظل الذي يمنح النور معناه، ويجعل للوقت قيمة، وللإنسان قصة تستحق أن تُروى.

الأنام و الموت

❁ هل سمعت أن فلان مات ؟

❁ أجل رحمة الله عليه ، و كيف توفى ؟

❁ بطريقة بشعة للغاية .. بحادث سير حيث اصطدمت سيارته ليلاً بصهريج وقود مما سبب انفجار الصهريج و تفحم المركبتين معاً بمن فيهما ..

❁ يا ساتر .. كم هي ميتة مؤلمة .. ماذا فعل في حياته كي يستحق هذه النهاية المأساوية المفعمة بالعذاب .. ؟!

❁ بالفعل ، لا بد أن غضب الله عليه شديد ..

*****

في هذا الحوار الدائر بين صديقين حول وفاة أحد معارفهم نواجه مغالطة مزدوجة يقع فيها كثير من الناس، **الشق الأول** منها هو ربط الكوارث و المصاعب التي نتعرض لها في حياتنا بسوء أفعالنا و غضب الله علينا .. و هي من أشيع المغالطات الحساسة و الجائرة و الخطيرة عند البشر لكنها ليست موضوع نقاشنا في هذا الفصل .. أما **الشق الثاني** فهو موضوع حديثنا التالي و **كيف أنّ الناس تخلط عن جهل و غير وعي بين المظهر و الشعور** ..

فنقول مثلاً : (يا رباه لقد سقط فلان من الطابق الأخير و تهشم جسده تماماً ، كم هذا مؤلم ؟) في حين نقول بالمقابل : (لقد سقط فلان من الطابق الأول و كُسر حوضه فقط ، لقد نجى من موت شنيع و مؤلم بحق !)

و تكمن المغالطة الشائعة بين هاتين الجملتين بال**ربط بين فداحة المشهد و شدة الألم** و التي سنقوم عبر السطور التالية بمقاربتها أكثر و أعمق من زاويتين هامتين للغاية :

◈ **الزاوية الأولى** : أن الحوادث المميتة كالسقوط من شاهق او حادث السير المروع أو التفجيرات و كثير غيرها غير مؤلمة البتة على عكس ما يشعر الناس تجاهها ..

فالدماغ يتوقف عن العمل بغياب الوعي أو الموت النهائي قبل أن تسنح الفرصة للمصاب أن يتألم حتى .. أما الحوادث غير المميتة كالجروح ، الكسور ، الرضوض و غيرها فتسبب أذيات مؤلمة للغاية بحفاظ المصاب على وعيه و الوعي هو توأم الألم ..

و من الهيّن علينا توقع أن البشر تصف الحالة الأولى بأنها ألم مهول لأن مظهر الحالة مهول بحد ذاته من تفجير أو تهشم ، في حين تصف الحالة الثانية بالحادث البسيط كون الأذية محدودة و المشهد بسيط .. و الخلاصة أن الألم يتناسب عكساً مع شدة الحادث و حتى عندما يبلغ درجات شديدة فإن المصاب يغمى عليه من شدة

الألم ليتوقف الألم بذلك .. فتكوين الإنسان محسوب بدقة بحيث أن لكل شيء غاية و سبب يكون فيها الهدف النهائي من كل شيء هو مصلحة الإنسان لا غير ..

◈ **الزاوية الثانية** : التمييز بين الألم و الموت .. **فالأول هو شعور بشري واعٍ كهبة إلهية لنا كي نتجنب الوصول إلى الثاني (الموت)** فالألم هو الضوء الأحمر و جرس الإنذار الذي يخبرنا بوجود اضطراب ما في الجسم علينا معالجته و تصحيحه تجنباً لخسارة حياتنا .. و طالما أنك تتألم فأنت على قيد الحياة ..

أما الموت فهو تجربة غير مؤلمة على الإطلاق بل هي رصاصة الرحمة التي تقتل الألم بشكل نهائي فيتوقف الجسد عن الإحساس في جزء من الثانية .. و ذلك ما عبر عنه الإمام **علي بن أبي طالب** بقوله :

((**استهينوا بالموت فإن مرارته في خوفه**))

و بالفعل القناعة بأن الموت مؤلم هو شيء مكتسب غير منطقي نتج عن أمرين هامين ، **الأول** جهلنا بتجربته كوننا لم نختبره من قبل إذ لم يعد أحد من الموت كي يخبرنا عن ماهيته ، و **الثاني** أننا نقرن الموت بالمشهد المهول القاسي الذي يحيط بكثير من حالاته كما ذكرنا في الحوار بين الصديقين في مستهل هذه الفصل .. لكن إن نحن قاربنا موضوع الموت بطريقة علمية و عقلانية نجد أن الموت هو توقف آني للجسد عن العمل تماماً بما في ذلك المشاعر الإنسانية و بالتالي الموت تجربة يسيرة غير مؤلمة يرحل فيها الإنسان بسلاسة و سلام على خلاف ما يحيط به من مظاهر قاسية يستقبلها الشهود الأحياء بمشاعرهم الجياشة ، فهنا يقوم الشهود بإسقاط مشاعرهم المؤلمة و الفزعة بشكل غير منطقي على الميت نفسه الذي لا يشعر بشيء في الحقيقة .. كما أنّ الموت لا يختلف بشيء عن النوم أو التخدير ، هل سبق لك و أن تألمت عندما غفوت أو تم تخديرك لإجراء عمل جراحي من قبل **!؟**

و هنا نستذكر مقولة **أسماء بنت أبي بكر الصديق** :

((**إذا ذبحت الشاة فالسلخ لا يؤلمها**))

و هي مقولة منطقية علمياً تماماً تدعم ما سبق و ذكرناه بأن الموت انتهاء لأي شعور بشري حيث تغادر الروح زنزانتها في حين يبقى الجسد جماداً كالصخر لا يضره أياً تفعله به .. كحال الجثة التي تحترق و تتفحم بعد التفجير فالمظهر مرعب و مؤلم بالنسبة للشهود على الحادث لكنه غير مؤلم البتة بالنسبة لصاحب الجثة الذي فقد إحساسه بالغياب عن الوعي أو الموت ..

و متى ما تأقلم الناس مع هذه الحقيقة العلمية هان عليهم الموت و لم يعد مخيفاً على الإطلاق .. كما كان يحدث عند **الأضاحي و القرابين البشرية لحضارات الهنود الحمر في الأمريكيتين من المايا ، الإنكا و الأزتيك** .. حيث كانت الأضحية البشرية تسلم نفسها بطواعية و رضا للشخص الذي سيذبحها فينحرها بهدوء دون أي ألم من قبلها و تفارق الحياة آنياً ، و من يشهد ذلك الاحتفال الديني يفهم تماماً سهولة الموت و بساطته على خلاف ما هو شائع بين الناس. فالنحر يتم بجزء من الثانية ثم تنقطع التروية عن الدماغ فتفقد الأضحية وعيها ..

و في الحقيقة أن ما ينطبق على مفهوم الموت ينطبق على مفهوم الألم بحد ذاته .. فجزء كبير من شدة الألم هو وهمي نابع من الخوف من عواقب الألم من جهة و من منظر العامل المسبب للألم

من جهة ثانية كالحرق أو دماء الجرح أو العظمة البارزة من الكسر ... و إن أحكمنا سيطرتنا على مشاعر الألم عند حدوثه فإننا سنقلل كثيراً من شدته .. و أستذكر هنا من تجربتي الشخصية كطبيب حادثة جرت لي في إحدى المشافي عندما أتاني جندي شاب مصاب في الحرب بلغم و قد قطعت ساقه و فصلت عن فخذه فلم يعد يربطها به سوى الشريان .. فقد كان الجندي هادئاً و مستكيناً لحاله ، الأمر الذي رأيت نقيضه تماماً عند جنود بإصابات أقل و هم يصرخون بشدة من الألم ..

لنتوصل إلى نتيجة هامة في مقاربتنا الراهنة :

((الألم هو حالة نفسية قبل أن تكون جسدية ترتبط بقوة بالمشهد المصاحب للألم .. فكلما زادت قسوته زاد شعورنا بالألم المصاحب كثيراً على نحو غير علمي أو منطقي و هذا ما ينطبق بدوره على الموت بحد ذاته))

و في الطب الكثير من الأدلة على هذه النتيجة ، فعندما تخبر المريض عمداً أن الإجراء الطبي الذي ستقوم به مؤلم سيتشنج و يتألم بقوة ، و بالعكس إن أخبرته أنه إجراء بسيط يسبب ألماً خفيفاً

سيتقبل الموضوع برحابة صدر و يتألم قليلاً و لو كان الإجراء مؤلماً فعلياً على أرض الواقع ، بدءاً من حقن إبرة الدواء و انتهاءً بأكبر العمليات الجراحية .. و كما قال شيخ الأطباء **ابن سينا** :

((الوهم نصف الداء ، و الاطمئنان نصف العلاج ، و الصبر أول خطوات الشفاء))

و ربما سمع كثير منا قصة الشخص الذي شرب كأساً من النبيذ فمازحه صديقه أن النبيذ مسموم ، ليسقط ميتاً على الفور ، و في هذا مؤشر على قوة تأثير الوهم على الإنسان و الذي قد يصل به إلى درجة الموت وهماً .. و هذا ما ينطبق في مقاربتنا لمفهومي الألم و الموت .. و لقد لخّص شاعر العصور الوسطى الإنجليزي **جيفري تشوسر** ذلك بمقولته الشهيرة :

((يا لقوة الوهم ! الناس سريعو التأثر لدرجة أنهم قد يلقون حتفهم من مجرد خيال))

إذاً الألم موضوع نسبي يتعلق بعوامل عديدة على رأسها المشهد المصاحب له أو التوقع المسبق لشدته ، و هو هبة ربانية تحمينا من تفاقم الأذية و خسارتنا لحياتنا إن لم تعالج .. و أكبر دليل على هذه الحقيقة حالة طبية تعرف ب ((**متلازمة عدم الشعور بالألم Congenital Insensitivity to Pain CIP**)) و فيها يفقد المصاب الشعور بالألم تماماً و قد يظن البعض أن هذه نعمة من الله لكن الحقيقة على نقيض ذلك ، فمتوسط عمر المصابين بهذا المرض قصير بسبب الأذيات و الانتانات الكثيرة التي تصيب جسدهم دون أن يدركوا ذلك و التي تتفاقم و تودي بحياتهم بعد فوات الأوان .. كما تكون حياة المريض به معقدة للغاية إذ يقوم بعدّ أسنانه وتفقدها واحداً تلو الآخر لمعرفة إن سقط أو تسوس أحدها، و يفحص كامل جلد جسده لتحريّ وجود حروق، جروح، أو رضوض .. كذلك يتأكد من سلامة كامل مفاصله، فيحركها واحداً واحداً بحثاً عن خلوع، فكل أذى قد يحدث دون أن يشعر... و هذه الإجراءات يقوم بها على مدار الساعة على نحو مؤلم نفسياً بشكل يفوق الألم الجسدي الذي حرم منه بأضعاف مضاعفة ..

في ختام مقاربتنا للعلاقة الشائعة المغلوطة بين : (**الألم و الموت**) الأحرى بنا بعد الآن ألا نقول :

❁ فلان مات ميتة شنيعة مفعمة بالألم ..

بل أن نقول :

❁ كلما كانت الحوادث عنيفة أكثر كان الألم المصاحب لها أقل لينتهي تماماً إن توفي المصاب .. و الألم المهول هو مجرد إسقاط لشعورنا بفداحة المشهد على الميت ..

و ألا نقول :

❁ لا أريد أن أتألم أكثر في الحياة ..

بل أن نقول :

❁ الألم من أكبر النعم الإلهية فهو جرس الإنذار الذي يشير إلى وجود خطأ ما نفسي أو جسدي علينا تداركه و علاجه للمحافظة على حياتنا .. و الحمد لله على كل شيء سلبي قبل أن يكون إيجابياً ، فحكمة الله لا حدود لها و هو يعلم و نحن لا نعلم .. و قد خلقنا في أحسن تقويم .. بحيث أنّ كل شيء يجري بهدفٍ نبيل و غاية سامية مهما تذمرنا منه و بدا لنا مؤذياً أو سلبياً ..

لذا تقبل الأذى الذي تتعرض له عزيزي القارئ برحابة صدر و أحكم السيطرة على مشاعرك تجاهه فإنّ ذلك يخفف كثراً من شدة الألم المصاحب له .. و استهن بالموت و لا تخف منه فهو عملية آنية تحدث في جزء من الثانية و ينتهي معها كل شيء .. أما المشاهد المروعة التي قد تصاحبه فهي مربط الفرس في حديثنا و مجرد وهم مؤلم في أدمغتنا نسقطه على المصاب أو المتوفي كحالة مأساوية ترتجف القلوب من هولها .. و هي على نقيض ذلك في أغلب الحالات ..

و أخيراً عندما سيموت كل منا في يومه الموعود سيدرك أكبر حقائق الحياة الصادمة :

((أكثر شيء قلقت منه طوال حياتي كان أسهل تجربة عشتها في حياتي .. إنه الموت نفسه))

أهم من

منظور الأديان

منذ أن رفع الإنسان رأسه نحو السماء، وسأل السؤال الأثقل :

لماذا نموت ؟

لم يكن الموت في وعيه مجرّد توقّف جسد، بل لغزًا أخلاقيًا، وامتحانًا كونيًا، وبوابةً يتوارى خلفها المجهول. لذلك لم تتركه الأديان — الأرضية منها والسماوية — عاريًا أمام هذا السؤال، بل نسجت حوله سردياتٍ تمنح المعنى حيث يعجز العقل وحده.

الموت في الأديان الأرضية – دورة الوجود لا نهايته

في الديانات الأرضية، لا سيما الشرقية، لا يُنظر إلى الموت كقَطعٍ نهائي، بل كتحوّلٍ في مسار الوجود.

في **الهندوسية**، الموت خطوةٌ في سلسلةٍ طويلة تُسمّى **سامسارا**، حيث تنتقل الروح من جسدٍ إلى آخر وفق قانون **الكرما**. ليس السؤال : **لماذا مات ؟** بل : **كيف عاش ؟**

فالروح التي تثقلها الأفعال السيئة تعود في هيئةٍ أدنى، وتلك التي صفا رصيدها الأخلاقي تقترب من الخلاص النهائي : **موكشا**، حيث تنعتق من عجلة الولادة والموت.

و في **البوذية**، يهدأ الموت أكثر. لا روح خالدة بالمعنى التقليدي،

بل تيار وعي يستمر ما دام التعلّق مستمرًا. الموت هنا نتيجة طبيعية للتشبّث، **والخلاص ليس في حياة أخرى، بل في انطفاء الرغبة نفسها.**

ولهذا قال بوذا :

(كما تنطفئ الشعلة حين ينفد وقودها، كذلك ينطفئ الألم حين ينتهي التعلّق)

أما في **مصر القديمة**، فقد كان الموت مشروعًا معماريًا وفلسفيًا متكاملًا. الجسد يُحنّط ، والروح (**با**)، والقرين (**كا**)، والقلب يُوزن في محكمة أوزيريس.

لم يكن الموت رعبًا، بل رحلة قانونية دقيقة، إن خفّ فيها القلب نجا صاحبه إلى حقول القصب، الفردوس الأبدي.

الموت في الأديان السماوية – عبورٌ أخلاقي لا عبث فيه

تأتي الأديان السماوية لتضع الموت في سياقٍ أكثر حِدّة و جدية : نهاية الدنيا وبداية الحساب.

في **اليهودية**، الموت نهاية الحياة الدنيوية، وبداية انتظارٍ غامض. لا تركيز مفرط على الآخرة بقدر التركيز على العدل في الحياة.

فالحياة هي مسرح الامتحان، والموت هو إسدال الستار، أما ما بعده فبيد الإله وحده.

و في **المسيحية**، يتخذ الموت بعدًا فدائيًا. هو نتيجة الخطيئة الأولى، لكنه أيضًا باب الخلاص.

بموت المسيح — بحسب العقيدة — صار الموت جسرًا لا هاوية، وتحولت القبر من نهايةٍ مظلمة إلى وعدٍ بالقيامة.

يقول **يسوع** :

(أنا هو القيامة والحياة، من آمن بي وإن مات فسيحيا)

و جسد ذلك بحياته نفسها عندما قهر الموت و عاد منه إلى الحياة بالقيامة .

أما في **الإسلام**، فالموت ليس فناءً ولا عقوبةً بذاته، بل انتقالٌ مضبوط التوقيت :

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)

لم يقل: هالكة، بل ذائقة، وكأن الموت طعمٌ عابر لا إقامة فيه.

هو بوابة إلى البرزخ، ثم بعث، ثم حساب. لا عبث في التوقيت، ولا ظلم في المصير.

(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)

الموت في الإسلام مرآة للحياة؛ من فهمه أحسن العيش، ومن غفل عنه عاش كأنه خالد.

بين الأرض والسماء : ماذا قال الموت للإنسان ؟

إذا تأملتَ الأديان كلها، وجدتَ أن الموت لم يُقدَّم يومًا كعدوٍ أعمى، بل كرسالة.

الأديان الأرضية همست : **تحسّن لتعود أفضل.**

والأديان السماوية أعلنت : **استعدّ، فهناك حساب.**

وفي الحالتين، لم يكن السؤال الأهم :

كيف نموت ؟

بل :

كيف نعيش ونحن نعلم أننا سنموت ؟

الموت كمرآة للحياة

الموت، في جوهره الديني، ليس نهاية القصة بل معناها.

هو اللحظة التي تُجبر الإنسان على الصدق مع نفسه :

هل عاش كجسدٍ يأكل و يتكاثر و يشيخ ؟

أم كروحٍ تعلّمت، وأخطأت، وتابت، ونضجت ؟

ولعل أعظم ما فعلته الأديان بالموت، أنها نزعت عنه عبثيته.

فجعلت له لغة، وغاية، وأفقًا...

حتى لا نموت ونحن نظن أننا لم نُخلق إلا لنختفي.

الحيّ الذي لا يموت

تتقدّم فكرة **الله الحي الذي لا يموت** على المشهد الكوني الأوسع ، لا بوصفها عقيدة إيمانية فحسب، بل كضرورة فلسفية، وكشرطٍ خفيّ تقوم عليه هندسة الوجود كلّها. فالحياة، في هذا الأفق، ليست حادثة بيولوجية، ولا صدفة كيميائية، بل معنىً متعالٍ، ونبعٌ لا ينضب، وحضورٌ لا يشيخ.

حين نقول إن الله حيّ، فنحن لا نمنحه ما نعرفه عن الحياة من نبضٍ ونَفَس، بل ننزّهه عن نقيضها. حياته ليست ضدّ الموت كما حياتنا؛ لأن الموت لا يملك طريقًا إليه أصلًا. نحن نحيا داخل الزمن، فتكون حياتنا معلّقة بساعته، أمّا هو **فحيٌّ قبل الزمن، ومع الزمن، وبعد أن يطوي الزمنُ صفحته**. حياته هي التي تُقيم الزمن

لا العكس، وهي التي تمنح الأشياء قابلية الظهور ثم الفناء، دون أن تمسّ جوهره.

في اللغة والفلسفة، يلمع اسم الحي بوصفه اسمًا فريدًا؛ فهو ليس وصفًا لحالة، بل إعلان عن ذات. كل حيٍّ من البشر حيٌّ بغيره، مستعير للحياة، قابل لسحبها منه في أي لحظة. أمّا الله فهو حيٌّ بذاته، لا يكتسب الحياة، ولا يخشى فقدانها. لذلك اقترن اسمه بالقيّوم: حيٌّ لا يموت ، قائمٌ لا يُقام به. نحن نحيا لأن شيئًا فينا يتحرّك، وهو حيٌّ لأن كل شيء يتحرّك به.

ومن هنا نفهم هشاشتنا الوجودية : **حياة الإنسان ليست ملكًا، بل وديعة**. نحن نحيا كما يُنار مصباحٌ من مصدرٍ خارجي؛ ما إن ينقطع التيار حتى يعود الظلام ، أما المصباح الإلهي فلا ينقطع نوره و يضيء العالم منذ الأزل إلى الأبد. لذلك لا يخاف الإنسان الموت لأنه توقف الجسد فقط، بل لأنه انقطاع المعنى، وسقوط السردية التي كان ينسجها عن نفسه. إن سؤال الموت، في جوهره، ليس بيولوجيًا، بل فلسفي : **لماذا أُمنح الوعي إن كان مصيري الصمت الأبدي ؟**

هنا يتحوّل الموت نفسه إلى شاهدٍ غير مباشر على الله الحي. فلو كان الوجود مادّة صِرفة، لما كان للموت هذا الثقل الرمزي، ولا لهذا الرعب الوجودي الذي يتجاوز الخوف الغريزي. إحساس الإنسان بأن الموت « **فجيعة** » و« **ظلم** » و« **كسر** » دليل على

توقٍ دفين إلى حياة لا تنتهي. نحن لا نتمرّد على الموت لأنه يؤلمنا، بل لأنه يناقض شيئًا عميقًا فينا، كأننا صُمّمنا على مقياس الخلود ثم أُلقي بنا في عالم الفناء.

من هنا نفهم سرًّا لافتًا في أسماء الله الحسنى : نقرأ الرافع والخافض، القابض والباسط، المعزّ والمذلّ؛ أزواجٌ متقابلة تُمسك بحركة العالم بين شدٍّ وبسط، صعودٍ وهبوط. لكننا لا نجد اسمًا اسمه الميت. ليس نسيانًا لغويًا، بل استحالة وجودية. فالموت ليس صفة، بل غياب. والمطلق لا يوصف بالغياب. الله يُميت، لكنه ليس ميتًا؛ لأن الإماتة فعلٌ داخل الكون، أمّا ذاته ففوق كل تضاد. لذلك جاء « المحيي والمميت » كاسمين فعليين، بينما جاء « الحي » اسم ذات، ثابتًا لا يدخل عليه نفي.

إن الله الحي هو شرط الكون لأن كل موجودٍ يستمدّ وجوده من حياةٍ لا تُستمدّ من غيرها. نحن نحيا لأننا متّصلون — ولو على نحوٍ هشّ — بمنبع الحياة. فإذا انقطعنا، متنا. أمّا المنبع نفسه فلا ينقطع. هكذا يصبح الموت حدثًا داخل الكون، لا فوقه؛ **قانونًا يسري على الممكنات، لا على الواجب الوجود**. لو كان كل ما في

الكون يميل إلى التبدّد، فلا بدّ من حقيقةٍ لا تتبدّد، تمسك الخيط من طرفه الأول، وتضمن ألا يسقط المعنى في العدم.

وفي هذا الأفق الوجودي تتجلّى **قيامة يسوع من الموت** بوصفها رمزًا كثيف الدلالة، وتجسيدًا دراميًا لفكرة الحياة التي لا تُقهَر.
فالقيامة ليست مجرّد إحياءٍ بعد موت، كما في المعجزات، بل كسرٌ لقانون الفناء نفسه. **لم يكن الموت هنا مرحلة تُلغى، بل عدوًا يُهزم.**
لقد دخلت الحياة الإلهية إلى قلب الموت، لا لتخضع له، بل لتفجّره من الداخل. لذلك لم تكن القيامة حدثًا عابرًا، بل مركز الإيمان كله.
و لذلك أصبح **أحد القيامة** عقدة نفسية لعشاق الظلام و الفناء ، الذين يحسبون أنفسهم ينتصرون بالموت و قتل الآخرين. و لذلك أيضاً رغم كل محاولات قتل الإله عبر التاريخ ، كان يعود بقوة و يتأجج نوره أكثر فأكثر **كطائر الفينيق و كالنار الإغريقية** ..

ومن هنا جاء قول **يسوع** الحاسم في عمقه :

(**من آمن بي وإن مات فسيحيا**)

إنه لا يعد بتأجيل الموت، بل بتجريده من سلطانه. فالموت لا يعود نهاية، بل عبورًا؛ لا خاتمة، بل فاصلة. يصبح القبر محطة بين حياتين لا عنوانًا، ويُعاد تعريف الحياة على ضوء حياةٍ أعمق من الزمن والجسد.

وهكذا تلتقي الرؤى الدينية والفلسفية عند حقيقة واحدة : الحياة ليست صدفة، والموت ليس السيّد. البشر يموتون لكي يدركوا حدودهم ، و الله حيٌّ لكي يبقى المعنى ممكنًا. البشر يفنون لكي يسألوا ، و الله يبقى ليكون جواب السؤال.

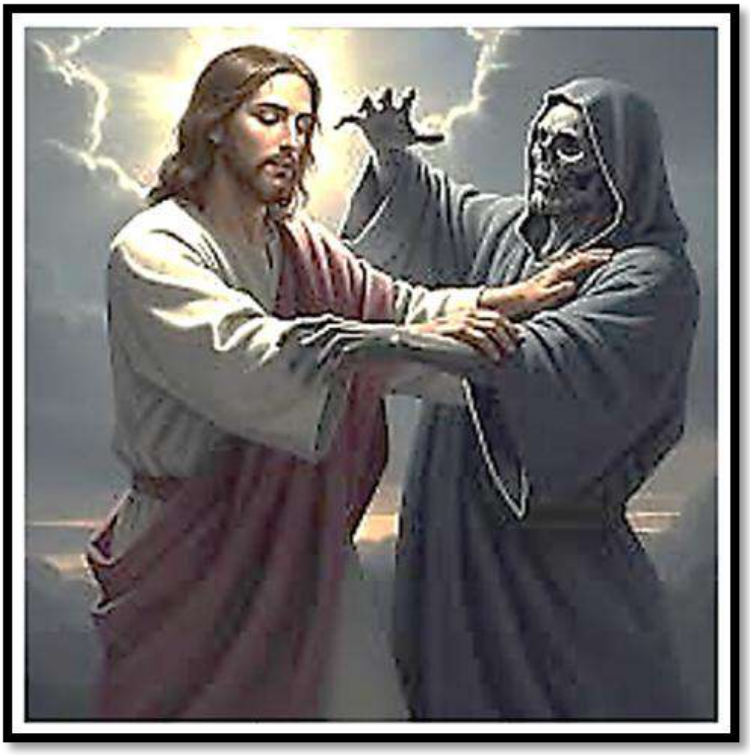

عاد من الموت

لطالما بدا الموت للإنسان خاتمةً مغلقة، بابًا يُقفل خلف العابرين فلا يُفتح. ومع ذلك، ظلّ الخيال البشري - مدفوعًا بالخوف والرجاء - يترك شقوقًا في هذا الباب، يتسلّل منها سؤال قديم متجدّد : **هل يمكن الرجوع ؟ أهي عودة حقيقية من العدم، أم ارتداد من حافةٍ لم تكتمل ؟** بين الأسطورة والطب، بين السرد المقدّس والنبض الذي يعود خجولًا، تتشكّل حكاية " **العودة من الموت** " كمرآةٍ لقلق الإنسان وأمله معًا.

العودة من الموت في التراث والأساطير

في الأساطير، لا يعود الموت نهائيًا؛ إنه اختبار. **أوزيريس** يُبعث من الموت في مصر القديمة ليحكم عالم ما بعد الحياة ..

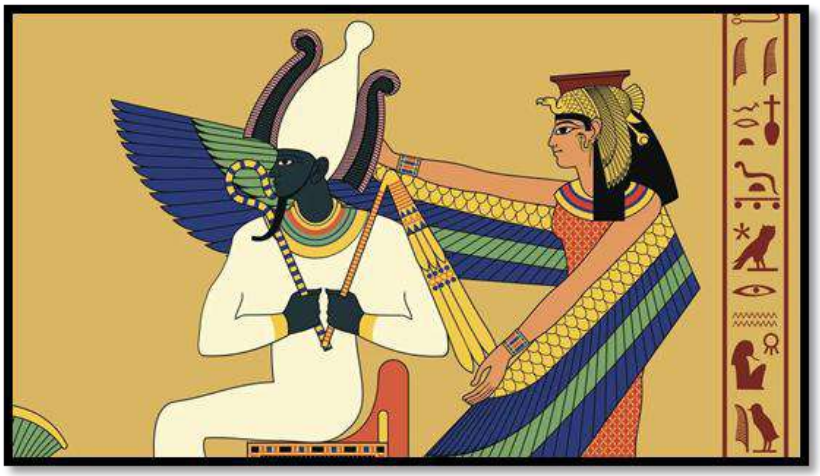

و **تمّوز** سيد الفصول يقايض نفسه بمحبوبته **عشتار** التي حبست في العالم السفلي في الأسطورة الإغريقية ، فتجف الأرض و ينتشر اليباس ، ثم يخرج تموز مجدداً إلى عالم الأحياء فينبعث الربيع ، و **أورفيوس** ينزل إلى العالم السفلي ليستعيد محبوبته **يوريديس** في الأسطورة الإغريقية على ألا يلتفت خلفه، فيخسرها عند أول التفات قرب المخرج النهائي .

أما في **النصوص الدينية**، فتتجلّى العودة كمعجزةٍ لا كقاعدة، حدثٍ استثنائي يؤكّد سلطان الحياة على قوانينها المعتادة. هكذا، لا تُروى العودة لتكذيب الموت، بل لتذكير الإنسان بأن المعنى أوسع من الحساب الزمني، وأن النهاية ليست دائمًا كما نتصوّرها.

سرد العائدين من الحافة ... ومن تحت التراب

حين نغادر الأسطورة إلى الوقائع، يتغيّر المعنى. **لا عودة من**

الموت بمعناه المطلق، بل إنقاذ من موتٍ ظُنّ أنه اكتمل. ومع ذلك، تتسلّل إلى التاريخ قصصٌ مروّعة ومندهشة في آن. هناك من توقّف قلبه في برودةٍ قاسية، ثم عاد حين أُعيد الدفء إلى جسده، كما لو أن الجليد حفظ الشرارة في قاعه. وهناك من أُخرج من الماء بلا نفس ولا نبض، ثم عاد الهواء يتذكّر طريقه إلى الرئتين. وتُحكى أيضًا وقائع نادرة عاد فيها الدم ليدور بعد أن أعلن الأطباء نهاية الإنعاش، كأن الجسد رفض الاستسلام متأخرًا بثوانٍ عن قرار البشر.

لكن أكثر القصص إرباكًا تلك التي خرجت من عتمة القبور. في قرونٍ سبقت دقّة الطب، دُفن أناسٌ في حالات غيبوبة عميقة أو خدرٍ شديد، فاستيقظوا في ظلمةٍ خانقة، وصاحوا، أو خدشوا الخشب، أو تركوا آثار أظافر على أغطية التوابيت. حكايات سُمعت فيها صرخات من تحت التراب، أو فُتحت قبور لاحقًا لتُكتشف علامات مقاومةٍ أخيرة. لم تكن هذه عودةً من موتٍ تام، بل فضيحةً لخطأٍ بشري : **موتٌ مُعلن بشكل عبثي ، وحياةٌ وُئدت باسم العجلة والجهل.**

التفسير الطبي : أين ينتهي الموت وأين تبدأ الحياة؟

الطب الحديث يفصل بين الموت السريري والموت الدماغي. الأول توقّف مؤقّت للقلب والتنفس يمكن عكسه خلال نافذةٍ زمنية ضيّقة، تتّسع أحيانًا بفعل البرودة الشديدة التي تُبطئ الاستقلاب وتحمي الدماغ، أو بفضل الإنعاش المتقدّم. أمّا الموت الدماغي فهو النهاية التي لا رجوع بعدها، حين تنطفئ مراكز الوعي والتنظيم نهائيًا.

أما " **الحياة بعد الدفن**" كما ترويها القصص القديمة، فلها تفسير قاسٍ وواضح : حالات من **السُّبات المرضي، أو الكاتالبسيا، أو التسمّم، أو نقص الأكسجين، أو الصدمات العصبية**، حيث يصبح التنفّس خافتًا إلى حدّ لا يُلتقط بوسائل بدائية، ويبطؤ النبض حتى يُحسب غيابًا. يُدفن الجسد وهو حيّ على نحوٍ مأساوي، ثم يستفيق في فضاءٍ لا يسمح إلا بالصرخة. لم يكن القبر بوابة عودة، بل مسرح خطأ تشخيصي قاتل.

أما **تجارب الاقتراب من الموت**، بتجلّياتها من **أنفاق ضوء وسكينة واستعراضٍ للحياة**، فيفسّرها العلم بوصفها نتاج دماغٍ يترنّح على حدود الأكسجين والذاكرة و الأدرينالين و الأندروفينات، رؤى عصبية كثيفة المعنى، لا أحكامًا ميتافيزيقية، لكنها - رغم ذلك - تترك أثرًا وجوديًا لا يُمحى.

أسطورة الزومبي : حين تحوّلت العودة إلى كابوس

من هذه الشقوق نفسها - شقوق العودة الناقصة والبعث المبتور- انبثقت أسطورة " **الزومبي** "، الموتى الأحياء الذين لا يعودون كاملين، بل بلا روحٍ أو إرادة. نشأت الفكرة في **تراث هايتي الشعبي المرتبط بمعتقدات الفودو**، حيث كان يُعتقد أن ساحرًا قادرًا على إعادة جسد الميت إلى حركةٍ آلية، مسلوب الوعي، خادمًا بلا ذات. كلمة زومبي نفسها يُرجَّح أنها مشتقة من جذور إفريقية كونغولية مثل nzambi أو zumbi، بمعنى **الروح أو الإله أو الميت**، ثم عبرت الأطلسي مع الذاكرة المثقلة بالعبودية، لتستقرّ في الكاريبي وتتحوّل إلى رمزٍ للرعب. الزومبي ليس قيامةً ولا معجزة؛ إنه تشويه لفكرة العودة، جسدٌ يتحرّك لأن الحياة لم تُحسم فيه تمامًا، أو لأن الموت لم يُنجز مهمّته. ولهذا وجد الخيال الحديث فيه مادةً خصبة : خوفٌ من الدفن قبل الموت، ومن أن نعود بلا معنى، أحياءً بيولوجيًا وأمواتًا وجوديًا.

إذن العودة من الموت ليست نقضًا لقانون الفناء، بل كشفٌ لحدوده الدقيقة. الأسطورة تمنحها معنى، والطب يمنحها تفسيرًا، والتاريخ يمنحها تحذيرًا. بين من عادوا من الحافة، ومن صرخوا من تحت التراب، ومن تحوّلوا في المخيال إلى " زومبي " بلا روح، نتعلّم أن الموت ليس لحظةً بسيطة، وأن إعلان نهايته مسؤولية أخلاقية قبل أن تكون حكمًا علميًا. وربما السؤال الأصدق ليس : **هل يمكن أن نعود ؟** بل : **كيف نُحسن الإصغاء إلى الحياة، وهي ما تزال - في أكثر لحظاتها خفوتًا - تُصرّ على أن تُسمَع ..**

DIE

HARD

في عام **1907**، كان هنالك رجل يدعى **جون بريست** يعمل كصياني للمحركات على متن **السفينة أستورياس** في رحلتها الأولى ، و حدث أن غرقت السفينة بسبب تسرّب المياه إلى غرفة المحركات حيث يعمل جون، لكنه نجا من الحادثة بأعجوبة لا تفسير لها.. وبعدها بأربعة أعوام، وتحديداً عام **1911**، كان جون واحداً من طاقم **سفينة أولمبيا** ، لينجو من الغرق مجدداً بعد اصطدام السفينة بسفينة ثانية أصغر منها و غرقهما..

وفي عام **1912**، كان بريست يعمل في غرفة المحركات على السفينة الأكثر شهرة عبر التاريخ **تيتانيك** ، و عند اصطدامها الشهير بجبل الجليد، و كان جون في قعر السفينة لكنه رغم ذلك استطاع الصعود إلى السطح و سبح في المياه المتجمدة، حتى وصل إلى أحد قوارب النجاة ، و تم إنقاذه من موت محقق ثانيةً !!

لم يتوقف جون عن عمله بعد نجاته من ثلاث حوادث غرق للسفن، وعمل بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية على متن **سفينة الكانتارا** ، التي غرقت بدورها في إحدى المعارك الحربية عام **1916** نتيجة انفجار، وكعادته نجا جون بريست الغرق!!

واصل جون عمله، وعاد في العام نفسه للعمل على متن **سفينة بريتانيك** التي تعرضت للغرق بنفس العام بعد انفجار لغم بحري بها

ولم يتغير الأمر مع جون فكان من ضمن الناجين من هذه السفينة هذه المرة أيضاً !! و في العام التالي **1917**، بدأ عمله في **سفينة دونيجال** ، و تعرضت هذه السفينة لهجوم غواصة ألمانية، فتم إغراقها لكن جون نجا منها من دون أن يصاب بأي ضرر حتى أنّه لم يخدش على الإطلاق ..

الطريف في القصة أن جون اضطر للتقاعد بعد الحادثة الأخيرة لا لشيء، إلا لسبب واحد هو أن أحداً لم يقبل العمل معه بعد كل تلك الحوادث، إذ اعتبر هذا المحظوظ نحساً يُغرق كل سفينة يعمل عليها !!..

لكن كيف يمكن لإنسان عادي أن يقهر الموت كل هذه المرات ضارباً بكل قوانين المنطق و الاحتمالات عرض الحائط .. ؟!

*****

يقول الشاعر الجاهلي **زهير بن أبي سلمى** :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب

تمته و من تخطئ يعمّر فيهرمِ

بمعنى أنّ موت البشر حادثة عشوائية لا تحكمها أية قوانين ، و النجاة من الموت مجرد حظ لا أكثر !

فهل هذه الفكرة صحيحة بالفعل ؟

أم ثمة مغالطة ما تكمن خلف الأكمة و لديها أقوال أخرى ؟!!

هذا ما سنحاول معرفته معاً صديقي القارئ خلال الصفحات التالية لنتأكد بالبراهين هل **الموت حادثة عشوائية كاليانصيب ينجوا منها سعيد الحظّ** ، أم **الموت هو حادثة منظمة تحكمها قوانين تفرض حدوثه في المكان و الزمان و الطريقة المناسبة** ؟ وسننجز ذلك عبر مقاربة الموضوع من **3** زوايا هامة و شيقة :

① **الموت في عين الدين ..**

② **الموت في عين العلم ..**

③ **أمثلة عن أشخاص نجوا من الموت بأعجوبة ..**

مع سرد مجموعة قصص لا أشك للحظة أنها ستثير إعجابك و دهشتك في الختام ..

فهيا بنا نضع **الموت** تحت مجهر الفحص و التقصّي لنكتشف سوياً كيف يحدث (بشكل عشوائي أم بشكل منظم) ؟..

أولاً ، الموت في عين الدين :

الروحانيات تفترض بشكل بديهي أن موت الإنسان كولادته ، أمور لا رأي له فيها بل فرضت عليه من قبل السماء لغايات نبيلة له و للآخرين و للسماء ذاتها .. لذلك نجد في القرآن الكريم تأكيد صريح على أنّ موت الإنسان يحدث في الوقت الذي قدره الله له بالضبط :

(فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون)

و كذلك آية أخرى تؤكد أن الموت عندما يحين لا شيء في الكون ينجيك منه :

(أينما تكونوا يدرككم الموت و لو كنتم في بروجٍ مشيدة)

و كل ذلك يوضح لنا فلسفة السماء فيما يتعلق بموت البشر و التي تقوم على ثالوث :

- الموت محدد في المكان و الزمان و بالطريقة المناسبة من قبل أن يولد الإنسان بالأساس ..
- الموت لا يمكن تقديمه أو تأخيره و لو لثانية ..
- الموت لا يمكن الهرب منه و سيدرك الإنسان إن اختبأ في أعلى الأبراج أو أعمق الأقبية ..

و في التراث قصة طريفة تختصر كل ذلك و تتحدث عن شخص آثم أتاه ملك الموت **عزرائيل** كي يقبض روحه فقال له الرجل :

- أرجوك أمهلني أسبوعاً واحداً فقط كي أوفي ديوني و التزاماتي و أودع أهلي و أحبابي ..

فاستجاب له عزرائيل و أخبره أنه سيموت بعد أسبوع غريقاً في الماء ، هنا قرر الرجل أن يتحايل على ملك الموت فسافر في رحلة بحرية على متن سفينة تغص بمئات الركاب و قال في نفسه :

- لا يمكن لملك الموت أن يغرق سفينة بكل طاقمها من أجل شخص وحيد !!

و في الموعد المنتظر بعد أسبوع زاره عزرائيل مجدداً فقال له :

- الآن ستغرق و أقبض روحك كما اتفقنا ..

فرد الرجل بدهشة :

- هل ستغرق مئات الناس من أجل شخص واحد ..؟!

فابتسم عزرائيل وقال :

○ يا صديقي كل طاقم السفينة على شاكلتك ، أجّلت لهم موعد موتهم فتذاكوا على السماء بالاحتماء بسفينة مكتظة .. و سهلوا عملي بأن أقبض أرواحهم جميعاً دفعة واحدة !!

فإن حسب الإنسان نفسه ذكياً بأن يسرّع موته بالانتحار أو يؤجله بالاحتماء في الأبراج أو الأقبية فإن السماء على علم بما يفكر به و موته بانتظاره في أي مكان يذهب إليه .. !!

لذلك لا تشغل تفكيرك صديقي القارئ بموعد موتك أو طريقته ، لأن كل هذا التفكير لن يغير مما كتب و لن يعود عليك بأي فائدة .. **و تذكر أن ولادتك و موتك سيفرضان عليك بدون سؤالك .. لكن حياتك ما بينهما يمكنك أن تعيشها كما تقرر و تحب و هذا هو أجمل ما في الموضوع ..**

و لا تنسَ أن الموت ليس نهاية كل شيء ، بل نهاية شيء و بداية كل شيء ، **لذلك يدعى الموت منيّة لأنه كمنيّ الإنسان ما إن يخصّب البويضة الأنثوية سيموت كنطفة لا تأثير لها لتبدأ حياته من جديد كجنين إنسان يمكنه أن يغير العالم بل الكون ..**

ثانياً ، الموت في عين العلم :

في الحقيقة لا يمكن للعلم أن يثبت بشكل قاطع فيما إذا كان موت الإنسان مقدّراً أم عشوائياً .. إذ أنه ليس شيئاً محسوساً يمكن قياسه بالتجربة أو تحكمه القوانين ، لكن الأكيد أن هنالك كوكبة من القصص و الأحداث العجيبة التي حدثت عبر صفحات التاريخ و

بعضها موثق في التاريخ الحديث لأشخاص نجوا من موت محقق و محتم وفق قوانين العلم ، بمعنى أن نجاتهم تندرج ضمن إطار المعجزات الحقيقية ، إذ لا تفسير لاستمرارهم أحياء إلا بتدخل قوى غيبية سماوية في ذلك ، مما يجعل العلم ينحني بخشوع للدين في هذه النقطة و يستسلم لما تقوله الآيات السابقة التي تحدثنا عنها تماماً كما حدث في قصة **النبي إبراهيم** عندما أراد أعداؤه أن يحرقوه حياً ، فالمنطق العلمي يفترض أن يتفحم و يموت ، لكن النيران لم تؤثر فيه على الإطلاق!! ..

و هذا يقودنا إلى الشق الأخير من الفصل و هو مجموعة قصص تفجر العقل حرفياً لأشخاص نجوا من الموت بمعجزة حقيقية ليليق بحياتهم لقب **DIE HARD** ..

ثالثاً ، أمثلة عن أشخاص نجوا من الموت بأعجوبة :

في الحقيقية هذا البند يعجّ بالأمثلة المذهلة التي تنطق بحقيقة واحدة (**من كتبت له الحياة لا تقتله أي شدّة**) ، و اخترت لك صديقي القارئ أكثرها إدهاشاً و عبرةً و التي ستجعلك تفكر كثيراً بمفهوم الموت بلا شكّ :

❁ رجل نجا من الموت 7 مرات في حياته ثم ربح أيضاً اليانصيب:

في مطلع عام **1962** نجا أستاذ الموسيقى الكرواتي **فرانو سيلاك** أول مرة من الموت حين خرج القطار عن مساره وسقط في نهر جليدي، وما هي إلا أشهر قليلة حتى نجا مرة ثانية من سقوط طائرة بعد أن انفتح بابها وسقط فرانو من السماء إلى الأرض في حفرة من القش وقُتل حينها **19** شخصاً على الأقل و نجا هو ..

هذا و قد نجا فرانو من **5** حوادث أخرى مهددة للحياة كإطلاق نار وحوادث مركبات وغيرها.. و لم يتوقف حظه هنا ، ففي العام **2003** ربح فرانو جائزة يانصيب قيمتها مليون دولار !!

❁ الفتاة التي سقطت من السماء إلى الأرض و لم تمت :

الانجليزية **ليندي هاردينج** نجت من سقوط حر من على إرتفاع **2500** متر تقريباً عندما كانت تمارس رياضة القفز بالمظلات ، فعندما فتحت المظلة علق الحبل ، وعندما فتحت المظلة الاحتياطية اشتبكت الحبال ببعضها وسط الرياح الشديدة ، فسقطت نحو الأرض سقوطاً حراً لمدة **40** ثانية بسرعة وصلت **110** كم في الساعة قبل ان تصطدم بالأرض بشكل مباشر، و المذهل في الأمر أنّ كلّ الذي حدث لها هو ثقب في الرئة وكسر في ضلعين وكسر في الأنف لا غير على نحو يخالف المنطق و كل القوانين العلمية !! ، و قد تم علاجها وعاشت بشكل طبيعي بعدها ، و بعد مرور **7** سنوات على الحادثة استطاعت ليندي أن تتغلب على صدمتها وقامت بقفزة مظلية جديدة ..!!

❁ رجل ينجوا من قبلتين ذريتين !! :

نجا الياباني **تسوتومو ياماجوتشي** مرتين من قنبلتين ذريتين فجرتهما الولايات المتحدة الأمريكية في **6** و **9** أغسطس/آب عام

1945 بمدينتي هيروشيما و ناغازاكي اليابانيتين ، الأمر الذي أسفر عن مقتل حوالي **90** ألف شخص .. وأكدت الحكومة اليابانية عام **2009** أن ياماجوتشي كان موجوداً في كلتي المدينتين أثناء التفجيرين ، فقد كان بمدينة هيروشيما في **6** أغسطس/ آب، في رحلة عمل سائراً على قدميه عندما سمع صوت الطائرة وشاهد سقوط القنبلة و نجا منها بأعجوبة لا تفسر .. و بحلول **9** أغسطس/آب، عاد المواطن إلى منزله في ناغازاكي ليكون شاهداً على التفجير للمرة الثانية، ورغم تعرّضه للإشعاع في كلتي الحالتين، عاش حتى سن **93** .. !!

❁ شخص يدخل في غيبوبة في درجة حرارة 30 تحت الصفر لعشر ساعات ثم يعيش :

كان **بيك وذوس** يمارس هواية التسلق على الجبال في إحدى المرات عندما هبت عاصفة شديدة البرودة تسببت في دخوله في

غيبوبة فوق ارتفاع **36** قدم و في درجة حرارة **30** تحت الصفر ، و بعد الكشف عليه في مكانه من قبل الأطباء أشار الجميع إلى استحالة نجاته لأن لا أحد ينجو من غيبوبة انخفاض درجة الحرارة ، فأعلنت عائلته وفاته .. و لكن بعد **10** ساعات أفاق **بيك** من غيبوبته و تحرك عائداً إلى المعسكر أسفل الجبل حيث تم إسعافه و عاش حياة طويلة بعدها ليروي قصته ..!!

❁ رجل يقاتل لأربع ساعات بعد أن انفجرت قنبلة بيده :

في عام **1945** دارت معارك طاحنة بين القوات الهندية البريطانية من جهة و اليابانيين من جهة أخرى في بورما ، و كان هنالك ضابط اسمه **لاجيمان** أحد أفراد القوات الهندية البريطانية ، و تم إلقاء ثلاث قنابل يدوية عليه هو و فريقه فسارع لاجيمان بحمل الأولى و الثانية و ألقاهم بعيداً ، و لكن لم يتمكن من إلقاء الثالثة و انفجرت في يده ففجرت أصابعه و سببت له جروحاً بالغة في جسده ، و على الرغم من ذلك استمرّ في المعركة و حارب لأربع ساعات حتى اضطر اليابانيون للاستسلام ، و رغم جروحه

الخطيرة إلا أنه عاش حتى بلغ **92** عام و توفي عام **2010**.

❁ رجل لم يقتله السمّ و لا الرصاص :

كان **راسبوتين** سياسياً هاماً في **روسيا** ، و كان له تأثير خاص على العائلة الملكية ، فتأمر عليه النبلاء و قاموا بدعوته إلى أحد القصور و وضعوا له السم في الطعام و الشراب ، لكنه لم يمت كما كان متوقعاً ، لذلك قاموا برميه بالرصاص و تركوه اعتقاداً منهم أنه توفى ، لكنه فاجأهم بخروجه من القصر راكضاً ، فأسرعوا خلفه يطلقون عليه الرصاص مجدداً و لكنه لم يمت ثانيةً ، فقيدوه و ألقوه في النهر المتجمد و كانت هذه الطريقة الوحيدة التي قتلته ..

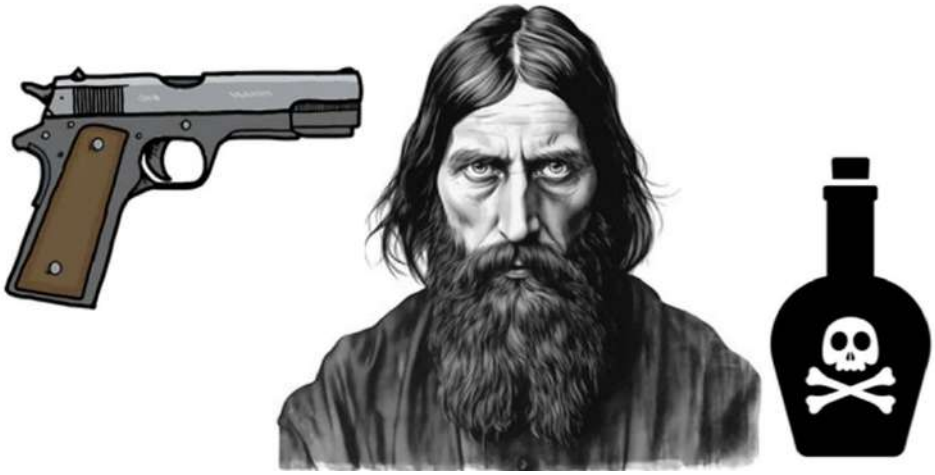

❁ شقه القطار نصفين و لم يمت :

هل تتخيل أن يقوم القطار بشق إنسان نصفين ويخرج هذا الشخص من الحادث حياً ؟ صدقت ذلك أم لا، لكنّ هذا ما حدث بالفعل **لترومان دنكان**، الذي كان يستقل قطاراً وسقط منه فجأة فعلق تحت عجلاته.. و لم يمت في هذه الحادثة، رغم أنّ القطار شقه إلى نصفين ، تم إجراء **23** عملية لإعادة نصفيه إلى بعضهما مرة أخرى، وخرج من هذه العمليات بدون قدميه الاثنين و كليته، لكنه في النهاية خرج من المستشفى حياً.. !!

ولمزيد من الدهشة، فأنّ دنكان لم يفقد وعيه فوراً إثر هذا الحادث، بل بقي في وعيه لمدة **43** دقيقة وهو الذي استدعى الإسعاف بنفسه لنفسه ..

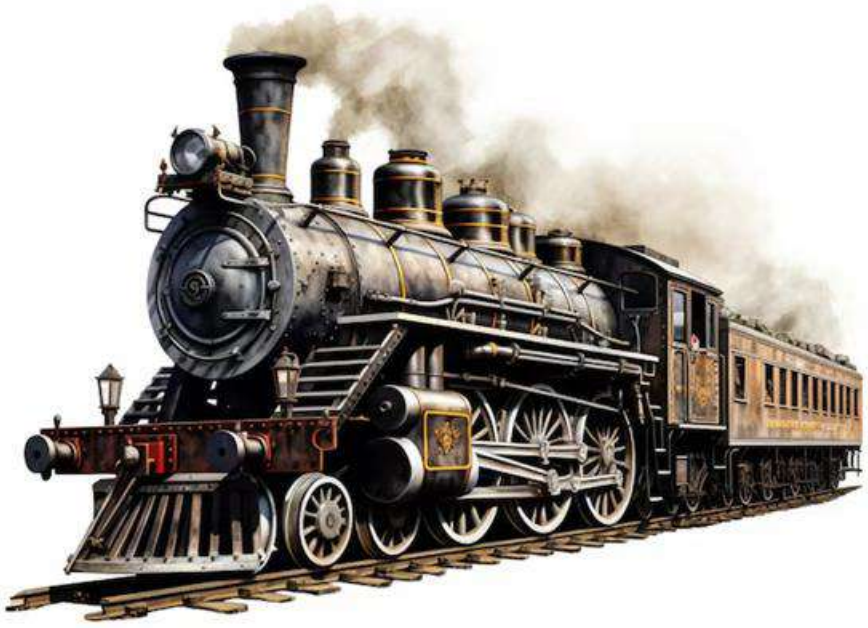

❁ رجل يتعرّض لجرعة أشعاع 400 ضعف الحدّ القاتل و لا يموت :

الباحث بمعهد فيزياء الطاقة في روسيا **أناتولي بوجوروسكي** ،تعرّض في إحدى المرات أثناء فحصه المعدات لإشعاع بقوة

200 ألف راد، من أكبر مسارع للجسيمات في الاتحاد السوفيتي ومر من دماغه مباشرة، مما أدى إلى انتفاخ وجهه بطريقة مرعبة جعلته بلا ملامح وبدأ جلده في التساقط ، كما أن الإشعاع حرق وجه أناتولي وجزءاً من نسيج دماغه ، وعلى الرغم من أن جرعة إشعاع بقوة **500** راد فقط كفيلة بقتل أي إنسان، إلا أن الجرعة التي تعرض لها أناتولي البالغة **400** ضعف ذلك لم تقضِ عليه، و رغم هذا الحادث المروع إلا أن مخ أناتولي ظل سليماً وأكمل رحلته العلمية بنجاح، لكنه فقد سمعه في أذنه اليمنى وأصاب الشلل نصف وجهه بسبب احتراق الأعصاب التي تعرضت للإشعاع.. !!

❁ طفل يعيش بلا جزء من مخه :

في عام **1987** تعرض الطفل **أهاد إسرافيل** البالغ من العمر

14 عاماً لطلق ناري أصاب جمجمته وأفقده جزءاً كبيراً من المخ، حيث كان يعمل في أحد متاجر ولاية أوهايو، ولسوء حظه كان صاحب المتجر يجرب أحد الأسلحة فخرجت منه طلقة اخترقت جمجمة **أهاد** ودمرت الشق الأيمن من مخه.. تمكن المسعفون من نقل إسرافيل إلى المستشفى حيث أجري له عملية استمرت **5** ساعات.. و بعد الحادثة استطاع جراح تجميل أن يقوم بعملية زراعة سيلكون للجزء المفقود من جمجمة **إسرافيل**، وبعد هذه العملية مارس **إسرافيل** حياته بصورة طبيعية حيث يبلغ في وقتنا الراهن **43** عاماً، كما أنه تخرج من الجامعة مع مرتبة الشرف !!

❁ مثقاب يخترق جمجمته و لا يقتله :

في عام **2003** وقع عامل البناء **رون هانت** وقع على ريشة المثقاب الكهربائي الحديدية، وكان طولها **45** سم ، ولم يمت ! فقد كان رون يقف على سلم ويحفر في السقف، وعندما شعر أنّ السلم يهتز قام برمي المثقاب على الارض، و بعدها مباشرة وقع أرضاً، ولسوء حظه وقع رأسه على ريشة المثقاب التي صادف انها كانت متجهه للأعلى فدخل المثقاب رأس رون عبر عينه اليمنى وخرج من خلف جمجمته .. تم نقل رون للمستشفى، والاطباء قالوا أنّ الريشة عندما دخلت في عينه حركت المخ جانبا

بدلا من اختراقه ، لذا قرروا أن ينزعوها من دماغه بسحبها مثلما دخلت بدلاً من الجراحة .. نجا رون من الموت ولم يصب بأي أعراض تدل على تضرر الدماغ ، الشيء الوحيد الذي فقده هو عينه اليمنى .. !!

❁ ضربه البرق 7 مرات و لم يمت !! :

روي كليفلاند سوليفان هو مواطن امريكي عاش ما بين عامي **1912** و **1983** ، و كان يعمل كحارس لحديقة وطنية في ولاية فرجينيا ، و اشتهر بأنه تعرض لضربات الصواعق خلال حياته **7** مرات و نجى منها كلها بأعجوبة لا يمكن تفسيرها إلا بحماية الله له ، حيث أنّ توتر الصاعقة الواحدة هو حوالي **300** مليون فولت، أي مليون ضعف كهرباء المنزل الكفيلة بقتلك في العادة !!

و بمحصلة هذه القصص العجيبة كلها ، نعود إلى الآيات القرآنية التي عرضناها ، بأنّ الإنسان لا يموت إلا في يومه الموعود ، فإن كتب الله له الاستمرار بالحياة فلن تقتله أي شدّة ، لا صواعق ، لا إشعاع نووي ، لا سقوط من السماء ، لا سحق تحت القطار، لا غرق سفن ، لا تهشم دماغ و لا أي شيء آخر .. و هذا من زاوية أخرى هو إثبات فعلي على سيطرة الخالق على تفاصيل الكون ، فلا شيء يحدث إلا وفق إرادته .. لذا توكل عليه صديقي القارئ و لا تحمل همّ أي شيء في الحياة ..

يروى في متحف التاريخ أن الملك الطاغية **النمرود** قتلته بعوضة صغيرة دخلت إلى دماغه من أنفه فسببت له حالة من الجنون و العذاب الرهيب حتى أنه كان يطالب مساعديه بضربه على رأسه كي يخف الألم حتى انتهى به الأمر صريعاً.. لينطبق عليه مقولة الإمام **علي بن أبي طالب** :

(مسكينٌ بني آدم تُؤلمه البَقَّةُ وَ تقتله اَلشَّرْقَةُ)

فإن أراد الله أن يقتلك فأبسط الأمور كفيلة بتحقيق ذلك و إن أراد لك أن تعيش فلا شيء حرفياً في الكون يستطيع قتلك .. **فالمنايا** أبعد ما تكون عن (**خبط عشواء**) بل حوادث مدروسة و مبرمجة بمنتهى الدقة و الإبداع ..

و تبقى أهم حكمة في ختام الفصل :

(الموت كالولادة لا رأي للإنسان بهما ، لكنّ حياته بينهما بإرادته ليحياها كما يشاء ، و الأجدر به أن يحياها بما يعود على نفسه و على الآخرين و على السماء بالخير و الازدهار)

الموت الرحيم

لا شك صديقي القارئ أنك قد سمعت من قبل بمصطلح الموت الرحيم الشائع .. ربما كنت من أنصاره ، و ربما من معارضيه .. أما رحلتنا في هذا الفصل فستمضي بنا نحو التعرف أكثر على هذا المصطلح الشائك عبر محطات مختلفة ، كي نتوصل سوياً بالمحصلة إلى نتيجة منطقية معقولة بخصوص شرعيته من عدمها ، فنجيب على السؤال الهام للغاية المنبثق عنه :

(هل الموت الرحيم هو انتحار و قتل ؟! .. أم أنه غير ذلك و هذا الفهم الشائع له مجرد مغالطة في حياتنا كغيرها)

و للإجابة على هذا السؤال سنقوم بالتطرق إلى **7** زوايا هامة تحيط بمفهوم الموت الرحيم بشكل كاف كما آمل و من مختلف النواحي .. فهيا بنا يا صديقي نرفع النقاب عن هذا المفهوم الحساس و المعقّد و المختلف عليه على نطاق واسع بين البشر ..

❁ تعريف الموت الرحيم :

هو ببساطة :

(القيام بإجراء متعمد مع الإعلان عن النية في إنهاء الحياة، للتخفيف من معاناة مستعصية على الحل)

أي أن له شرطين ضروريين يميزانه عن القتل أو الانتحار :

(المعاناة + لا حل لها أبداً)

❁ أنواع الموت الرحيم : و هي ثلاثة :

① طوعي : و يجرى بموافقة المريض ..

② غير طوعي : و تكون موافقة المريض غير

متوفرة ، و من الأمثلة على ذلك القتل الرحيم للأطفال، و هو غير قانوني في جميع أنحاء العالم ما عدا في ظل ظروف محددة و معينة في **هولندا** بموجب **بروتوكول جرونينجن الهولندي ..**

③ **قسري** : ضد إرادة المريض ، و هذا قتل بلا شك إذا كان المريض واعٍ لقراراته أي لا غياب للملكات العقلية ..

❁ جذور الموت الرحيم :

أول استخدام واضح لمصطلح (القتل الرحيم) يرجع للمؤرخ الإغريقي **سوطونيوس** الذي وصف كيف مات **الإمبراطور أوغسطس** بسرعة وبدون معاناة في أحضان زوجته **ليفيا**، مما حقق الموت الرحيم الذي كان يرغب فيه طوال حياته ..

أما أول استخدام لمصطلح القتل الرحيم في سياق طبي فكان من قبل الفيلسوف الفرنسي **فرنسيس بيكون** في القرن **17**، للإشارة إلى وسيلة موت سهلة، سعيدة و غير مؤلمة ..

في حين نجد أكبر عملية قتل رحيم قسري جماعي معروفة حدثت في التاريخ هي قتل النازيين لحوالي **9772** شخصاً في **غرف**

الغاز في **مركز براندنبورغ** للقتل الرحيم في عام **1940** و أطلقوا على هذه العملية اسم (أكتيون **T4**) ..

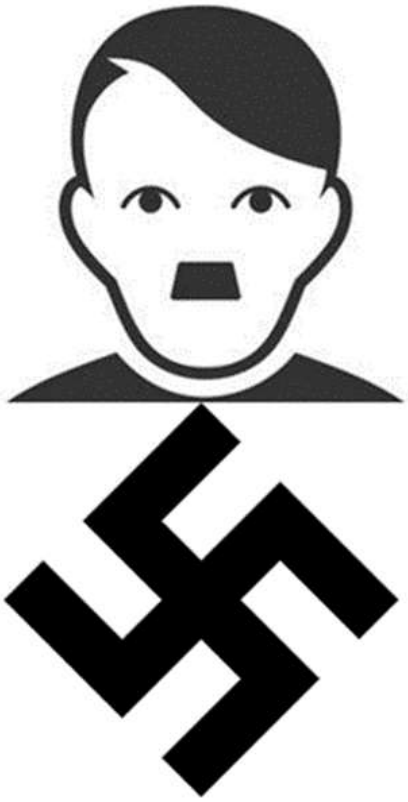

أما في الطبيعة فنجد الموت الرحيم عند النسور عندما تشيخ فتقل قدرة بصرها و يخف ريشها و ينعقف منقارها ، فتصبح غير قادرة على الصيد أو الطيران جيداً ، هنا ينطلق النسر إلى قمة جبل عالية ثم يلقي بنفسه منها في سقوط حر نحو الأرض حتى يصطدم بها و يموت محتفظاً بكرامته !!

❁ وجهة نظر العلم :

في العلم هنالك **5** حالات طبية قد تبرر الموت الرحيم و هي بلا شك تستدعي التأمل و التفكير لأنها منطقية للغاية و عدا هذه الحالات فأي قتل عمد هو جريمة قتل أو انتحار بكل تأكيد من وجهة نظري الشخصية .. و هذه الحالات هي :

- **أي حالة مرضية مترافقة مع ألام يتوفر فيها الرباعي التالي** :

① ألام تفوق القدرة البشرية على الاحتمال ..

② ألام مستمرة ..

③ ألام غير قابلة للتسكين ..

④ ألام غير قابلة للعكس ، و هذا ما ينطبق على ألام السرطان الانتهائي على سبيل المثال ..

- **الموت الدماغي** : و هذه حالة غير عكوسة و تعني الوفاة فعلياً ، و الموت الرحيم هنا مبرر بلا شك ..

- **الأذيات الدماغية التي تذهب بالعقل بشكل غير عكوس** : كالزهايمر المتقدم أو داء البريون مثلاً أو الجنون العضوي .. حيث يصبح المريض خطراً بالأساس على نفسه و على من حوله .. كما يتحول إلى كائن غريزي بلا صفات إنسانية .. و موته في هذه الحالة هو أمان للمحيطين به و صون لكرامته الإنسانية و ماضيه من التدنيس بتصرفات غير لائقة إنسانياً .. و في الحقيقة أذيات الدماغ هذه لا تختلف عن الموت الدماغي بشيء ، بل هنا الوضع أسوأ لأن ما يعانيه المريض هو موت روحي عندما يقوم بشتم من يحيط به من عائلة و غيرها .. أو يخرج

عرياناً في الشارع ليتبول أو يتبرز أمام المارة و غيرها ، و كل هذا إهانة روحية له و لماضيه .. أما بالنسبة لأمان محيطه فهذا النوع من المرضى قد ينسى الغاز مفتوحاً أو يشعل النيران بلا وعي أو يطعن أحدهم بالسكين و غيرها .. فأنت فعلياً تتعامل مع شخص بلا وعي لتصرفاته و كل شيء متوقع منه ..

- **الإجهاض** : في حال شكّل الجنين خطراً على حياة الأم أو تبين بالايكو أنه يعاني من تشوهات خلقية شديدة أو من بعض المتلازمات التي تترافق بتخلف عقلي شديد للغاية ..

● **الأطفال الذين يعانون مما ذكر آنفاً من تشوهات خلقية شديدة أو من بعض المتلازمات التي تترافق بتخلف عقلي شديد** ، و لم يتم اكتشافهم بالايكو خلال الحمل .. فالإنسان له حق بالعيش بكرامة من جهة و يفترض امتلاكه للحد الأدنى من الوعي كإنسان .. عدا ذلك أنت تهين الإنسان أو تتعامل مع كتلة من اللحم و العظم لا أكثر ستعيق حياة عائلته و بالتالي المجتمع بلا نتيجة مرجوّة تذكر ، و بالطبع نحن لا نقصد هنا متلازمة داون مثلاً التي يمتلك الطفل فيها وعياً مناسباً يتوافق مع الإنسانية ، بل عن حالات عدم تكوّن الدماغ مثلاً ، أو حالات تلف الدماغ بالكامل ..

❁ **وجهة نظر الدين** :

لقد نهانا الله في القرآن عن الانتحار بشكل صريح بقوله :

((و لا تقتلوا أنفسكم إنَّ الله كان بكم رحيماً))

أما فيما يتعلق بموضوع الموت الرحيم فنجد الموضوع مختلفاً جذرياً فيقول البارئ الرحيم :

((و لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون))

و هنا مربط الفرس في القضية كلها .. ما هو تعريف **الحق بقتل النفس** ؟! هل هو فقط **العقاب الجنائي** ، علماً أنه بالأساس عقاب بشري يحكم على المجرم أن يموت مفعماً بالخطايا و الذنوب بدون فرصة للتغيير أو التوبة أو حتى العلاج إن كان إجرامه على خلفية مرض جسدي أو .. أم أنّ الحق بقتل النفس هو قتل النفس التي تعرضت لمرض جسدي مشوّه بشدة أو مغيّب للعقل أو مؤلم بشكل غير إنساني و مستمر دون إمكانية عكس ذلك و تصحيحه ؟!

و لقد تطورت نظرة رجال الدين أكثر لمفهوم الموت الرحيم في السنوات الأخيرة فنجد مثلاً أنّ مجمع الفقه الإسلامي الدولي أصدر في دورته العاشرة موافقته الشرعية على الموت الرحيم في بعض الحالات :

- نزع أجهزة الإنعاش عن الميت دماغياً ..

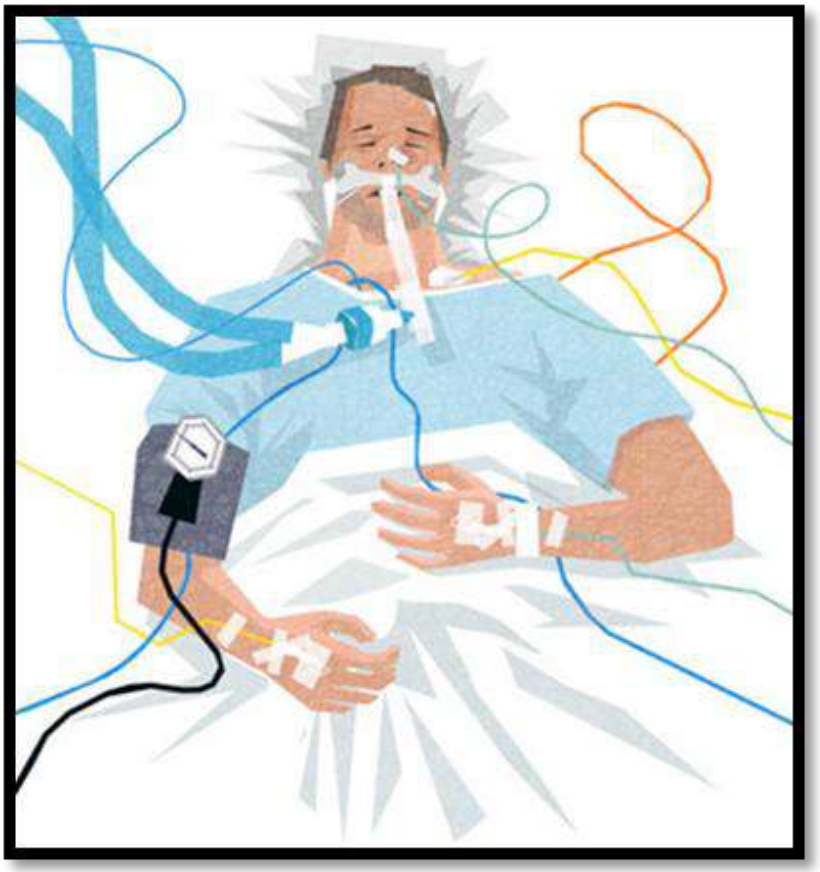

- الإجهاض العلاجي الاضطراري ، و يُلجأ لهذا النوع في حالة وجود خطر يهدد حياة الأم في حالة استمرار الحمل، ويكون إجهاض الجنين هو الحل الوحيد لإنقاذ حياة الأم ..

❁ **وجهة نظر القانون** : الموت الرحيم يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون في أغلب دول العالم باستثناء **بلجيكا، لوكسمبورغ، هولندا ، سويسرا، و بعض ولايات الولايات المتحدة الأمريكية مثل أوريغون و واشنطن** ، حيث يشرع الموت الرحيم الطوعي في هذه الدول بموافقة المريض و طبعاً بشروط معينة و إلا فهو

يعتبر مساعدة من الطبيب للمريض على الانتحار و يعاقب عليها القانون ..

❁ **وجهة نظر الأخلاق** : الواجب الأخلاقي للإنسان هو أن يتشبث بالحياة كي يحقق غايته السامية على هذه الأرض تجاه نفسه و تجاه الآخرين .. أما الحق الأخلاقي للإنسان في إنهاء حياته فيشمل ثنائية غاية في المنطقية و الأهمية :

● أن تتحول حياة الإنسان إلى ألم (جسدي أو نفسي) **مستمر رهيب و غير عكوس** ، فهذه حالة غير إنسانية بشكل بديهي !

● أن يفقد الإنسان ملكاته العقلية لسبب ما و بشكل غير عكوس ، فعندها سيفقد إنسانيته و يتحول إلى كائن خطير على نفسه و على الآخرين ، و يهين نفسه و محيطه و ماضيه ، و هذه كلها تعبر عن حالة غير إنسانية بشكل بديهي أيضاً !

فهاتان الحالتان بلا أي ذرة من الرحمة ، و باعتبار أن الله رحيم بلا شك .. فتحقيق رحمته تقتضي بالضرورة إنهاء حياة من يعاني منهما كرحمة إلهية أخيرة .. ليصبح لقب الرحيم لائقاً بهذا النوع من الموت ..

و هكذا في ختام مقاربتنا المقتضبة لمفهوم (**الموت الرحيم**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

❁ أنا ضدّ إنهاء الحياة مهما كان السبب ..فالله لو يريد للمريض أن يموت فيمكنه إنهاء حياته ببساطة ..!!

بل أن نقول :

❁ هذه المقاربة غير منطقية البتة .. فهل يمكننا القول ، إذا كان الله يريد شفاء المريض فسيشفيه في لحظة ، فلماذا يذهب إلى الطبيب !؟ بالطبع لا .. و الله شرّع لنا قتل النفس بالحق ، و لا حق لإنهاء حياة مريض أكبر من حقه عندما يريد ذلك إن كان يعاني

من :

- آلام مبرحة دائمة غير عكوسة و غير قابلة للتسكين فهذا يتعارض مع الرحمة الإلهية و الحقوق الإنسانية ..
- موت دماغي ، فالمريض ميت فعلياً ..
- غياب العقل و الوعي بشكل غير عكوس ، فيهين المريض نفسه و ماضيه و يشكل خطراً على نفسه و على المحيطين به ..
- جنين مشوه بشدة أو يشكل خطراً على حياة أمه ..
- طفل مشوه بشدة أو بلا عقل و لا يمكن تصحيح ذلك ..

و مع إغلاقنا أخيراً لملف الموت الرحيم، نجد أنفسنا نقف عند حافةٍ لا تفصل بين الحياة والموت فحسب، بل بين الرحمة والخوف، وبين الإرادة الإنسانية وصمت المصير. حيث لا يعود الموت عدواً صريحاً، بل احتمالاً أخيراً يطرحه الألم حين يستنفد الجسد كل لغاته، وحين تصبح الحياة نفسها ثقلاً لا معنى له إلا الاستمرار في الوجع.

الموت الرحيم ليس احتفاءً بالفناء، ولا خيانةً للحياة، بل سؤالٌ أخلاقيٌّ مقلق : **هل تكون الرحمة أحياناً في أن نترك الإنسان يرحل بكرامة، بعدما خانته قواه وبقي وعيه شاهداً على انكساره؟** أم أن الحياة، مهما انحنت وتشوّهت، تظل قيمةً مطلقة لا يجوز المساس بها ؟ بين هذين الحدّين يتأرجح الضمير الإنساني، عاجزاً عن يقينٍ سهل.

ولعل أعمق ما يكشفه هذا الجدل أنه لا يدور حول الموت بقدر ما يدور حول معنى الحياة ذاتها : **هل هي مجرد نبضٍ بيولوجي، أم تجربة وجودية لها حدٌّ إذا تجاوزه الألم تحوّل البقاء إلى صورة أخرى من العذاب ؟** في هذا المفترق، يتعرّى الإنسان من الشعارات، ويواجه ضعفه عارياً، لا يملك إلا أسئلته.

هكذا يظل الموت الرحيم مرآةً قاسية لإنسانيتنا؛ إن أدرنا لها ظهورنا رأينا خوفنا، وإن حدّقنا فيها طويلاً رأينا رحمتنا وحدودها. ولن يكون الحسم فيه نصاً أو قانوناً بقدر ما هو امتحان دائم لقلوبٍ تحاول، وسط ظلام الألم، أن تختار بين التمسك بالحياة... أو الإفراج عنها برفق.

الموت في الأساطير الشعبية

قبل أن يتعلّم الإنسان العدّ، وقبل أن يعرف أسماء النجوم، عرف شيئًا واحدًا يقينًا :

أن الذين يسقطون لا ينهضون دائمًا.

كان الموت أول لغز واجهه الوعي البشري، وأقسى معلم علّمه معنى الزمن.

ولأن العقل لا يحتمل الفراغ، لم يترك الإنسان الموت بلا تفسير، فحوّله إلى أسطورة، لا ليشرح ما يحدث بعد النهاية، بل ليحمي نفسه من الصمت الذي يليها.

الأسطورة ليست كذبًا، بل لغة بديلة للحقيقة حين تعجز اللغة المباشرة.

ومن هنا، اختلفت صور الموت كما اختلفت الجغرافيا، لكنه بقي في جوهره مرآةً لهلع الإنسان وأمله في آنٍ واحد.

إفريقيا – الموت كعودة إلى القبيلة الكبرى

في الأساطير الإفريقية القديمة، لا يُنظر إلى الموت بوصفه انقطاعًا، بل انتقالًا في درجات الوجود.

الميت لا يختفي، بل **يعود إلى جماعة الأسلاف، أولئك الذين يراقبون الأحياء من عالم قريب لكنه غير مرئي.**

في أساطير **قبائل اليوروبا**، لا يموت الإنسان تمامًا إلا إذا نُسي اسمه.

الذاكرة هنا هي الحياة الثانية، والنسيان هو الموت الحقيقي.

تروي الحكايات أن الموت جاء إلى البشر نتيجة خطأ بسيط :

رسول أُرسل برسالة الخلود، لكنه تأخر، فوصل رسول الموت أولًا.

وهكذا، دخل الفناء العالم لا كعقوبة، بل كحادث.

في إفريقيا، الموت ليس عدوًا، بل قانونًا اختلّ مرة، فصار أبديًا.

بلاد الرافدين – الموت كصمت كوني

في الأساطير السومرية والبابلية، الموت ليس عدالة ولا عقابًا.

إنه هبوط إلى عالم رمادي : **أرض اللاعودة**.

لا حساب، لا مكافأة، لا نار.

فقط وجود باهت، حيث تتغذى الأرواح الخيرة و الشريرة على الغبار، وتفقد أسماءها تدريجيًا.

في **ملحمة جلجامش**، لا يخاف البطل الموت لأنه مؤلم، بل لأنه يمحو المعنى.

رحلته ليست بحثًا عن الخلود، بل احتجاجًا على عبثية النهاية.

الموت الرافديني صادق وقاسٍ :

لا يَعِد، ولا يهدد، فقط يحدث.

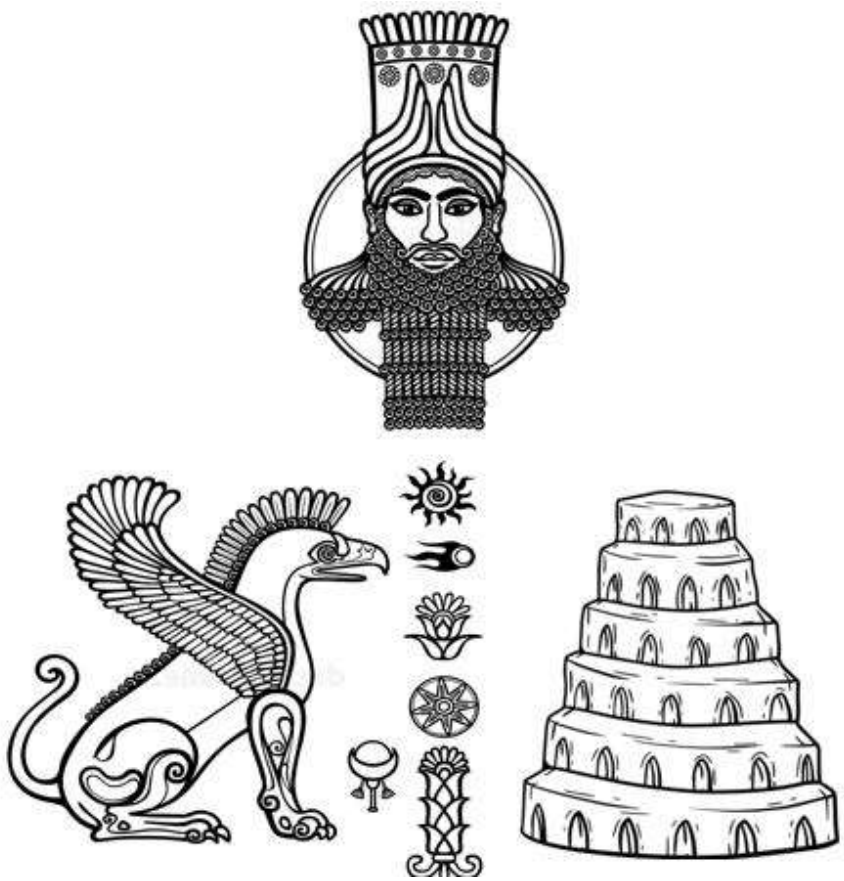

مصر القديمة – الموت كمحاكمة أخلاقية

في مصر القديمة، تحوّل الموت إلى أعظم محكمة عرفها الخيال البشري.

القلب يُوزن، والضمير يُفحص، والحياة كلّها تصبح ملفًا واحدًا.

الميت لا يُسأل : من كنت ؟

بل : كيف عشت ؟

أسطورة أوزيريس ليست عن الموت، بل عن الانبعاث المشروط.

من عاش بعدل، يولد من جديد.

ومن خان ميزان الحق، يلتهمه العدم.

هنا، لم يعد الموت نهاية، بل مرآة أخلاقية للحياة السابقة.

اليونان وروما – الموت كحدود بيروقراطية للكون

في الميثولوجيا الإغريقية، الموت ليس مأساة ولا خلاصًا، بل نظامًا إداريًا كونيًا.

نهر يفصل بين عالمين ، قارب يعبر بالأموات ، حارس يتأكد من الدفع.

لا أحد يمرّ مجانًا.

هاديس ليس شريرًا، بل موظف كوني لا يبتسم.

والموت هنا ليس حكمًا، بل عبورًا إلزاميًا.

ظهرت فكرة أن الروح يمكن أن تعود، لكن بثمن :

أورفيوس، هرقل، وأبطال آخرون لمسوا حدود الموت و بلغوا العالم السفلي ، لكنهم دفعوا ثمن النظرة أو الحنين.

الأسطورة تقول :

من يرى الموت عن قرب، لا يعود كاملًا.

آسيا – الموت كتحوّل لا كفناء

في **الهند**، الموت مرحلة في عجلة لا تتوقف.

الروح لا تموت، بل تغيّر لباسها من جسدٍ لآخر .

الموت هنا ليس خوفًا، بل مللًا كونيًا من التكرار.

والتحرر الحقيقي ليس الخلود، بل الخروج من الدائرة.

في **الصين**، أرواح الأسلاف تحضر البيوت، وتأكل مع العائلة، وتغضب إذا أُهملت.

الموتى أحياء بطريقة أخرى.

أما في **اليابان**، فالموت روح هائمة إذا لم يُكرَّم صاحبها .

الأشباح ليست شريرة، بل ذاكرة جريحة.

أوروبا الشعبية – الموت كزائر وحاصد

في الفولكلور الأوروبي، تحوّل الموت إلى شخصية تمشي بين الناس.

يطرق الأبواب، يحمل منجلًا، لا يشرح ولا يعتذر.

لكنه أحيانًا يُخدع، يُساوم، أو يُضحك عليه.

القصص الشعبية أحبّت أن تنتصر عليه بالحيلة، كأن الذكاء آخر مقاومة بشرية للفناء.

هنا، صار الموت لعبة ذهنية، لا حقيقة مطلقة.

الأمريكيتان – الموت كاستمرار احتفالي

في **حضارات الأزتك والمايا**، الموت ليس نهاية حزينة، بل استمرار طقسي للحياة.

يُحتفى بالموتى، تُقدّم لهم القرابين، ويُدعون للعودة ليلة في السنة.

في "**يوم الموتى**"، يضحك الأحياء مع جماجم ملوّنة.

الخوف يُهزم بالاحتفال.

الأساطير الحديثة – الموت في زمن العلم

حتى في العصر الحديث، لم تختفِ الأسطورة، بل غيّرت قناعها.

الزومبي ، **مصاصو الدماء** ، **الأشباح الرقمية**...

كلها محاولات معاصرة للإجابة عن السؤال نفسه :

هل ينتهي كل شيء حقًا بالموت ؟

الموت في الأساطير الحديثة فقد قدسيته، لكنه اكتسب رعبًا جديدًا :

أن يستمر الجسد بلا معنى، أو أن تبقى الذاكرة بلا روح.

بالختام نسأل :

لماذا مفهوم الموت مؤثر باستمرار مع تعاقب الأجيال ؟

لأن الموت ليس حدثًا، بل سؤال.

وما دام الإنسان يسأل، ستولد الأسطورة.

تختلف الأسماء، تختلف الآلهة، لكن القلق واحد :

أن نختفي دون أثر.

ولهذا، ستظل الشعوب تحكي.

فالحكاية، في جوهرها، هي رفض صامت للفناء.

الموت في عالم الفن

منذ اللحظة التي وعى فيها الإنسان أنه كائنٌ زائل، لم يعد الموت حادثة مستقبلية، بل فكرة مقيمة. لم يكن السؤال : **متى نموت ؟** بل : **ما معنى أن ينتهي كل شيء ؟**

وهنا، لم يظهر الفن ليعزّي فقط، بل ليُفكّر. صار الفن مختبرًا فلسفيًا للموت، لا مرثية له.

ليست كل لوحةٍ لجسدٍ ميت تفكيرًا في الفناء، ولا كل قصيدةٍ عن القبور مواجهةً للموت. الفن الحقيقي هو الذي ينفذ إلى لبّ الفكرة : **العدم، الزوال، هشاشة المعنى، وانطفاء الأثر.**

الرسم – حين يُثبَّت الفناء في صورة

في الرسم، يتجمد الموت. لا يعود لحظة، بل حالة دائمة.

من اللوحات التي واجهت الموت كقانون كوني نذكر :

انتصار الموت – بيتر بروغيل الأكبر

هنا لا يوجد موت فردي، بل اجتياح شامل. الموت قوة عمياء، تكتسح الجميع بلا تمييز. اللوحة لا تبكي، بل تُعلن : لا استثناء في هذا القانون.

جزيرة الموت – أرنولد بوكلين

لا جثث ولا دماء. قارب يعبر نحو جزيرة معزولة. الموت هنا ليس لحظة انهيار، بل مكانًا يُنقل إليه الإنسان. عبور صامت من الوجود إلى العدم.

لوحات الفانيتاس الهولندية

جماجم، ساعات رملية، شموع منطفئة، فاكهة متعفنة. هذه اللوحات لا تتحدث عن شخصٍ مات، بل عن كل ما سيموت. إنها فلسفة بصرية للزوال.

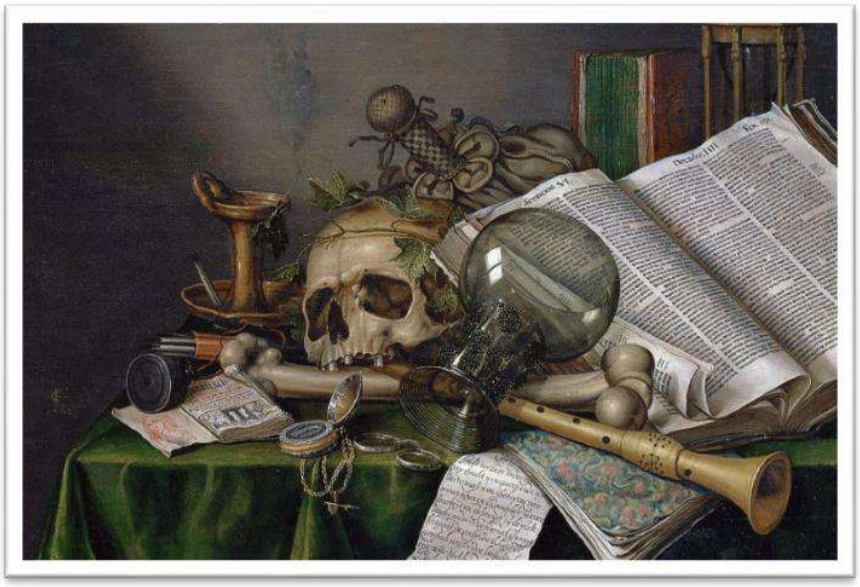

ثلاثة أعمار للمرأة والموت – غوستاف كليمت

الموت واقف في الخلفية، لا يهاجم ولا يشرح. حضوره دائم، صامت، حتمي. اللوحة تقول إن الموت ليس نهاية الحياة، بل ظلّها الملازم.

النحت – الجسد شاهداً على نهايته

النحت يواجه الموت بلا إطار، بلا مسافة.

تماثيل الترانسي (الجسد المتحلل)

أجساد منخورة، عظام بارزة، ملامح منطفئة. لم تُنحت للتخليد، بل للفضح : هذا مصير الجسد. لا بطولة، لا خلاص.

البييتا – مايكل أنجلو

ليست عن الحزن بمقتل يسوع بين أحضان العذراء بقدر ما هي عن السكون بعد النهاية. الجسد الميت ثقيل لكنه يحمل بذرة القيامة.

الرخام هنا اعتراف صريح بحدود الجسد.

الموسيقى – الموت بوصفه تلاشياً

الموسيقى لا تُصوّر الموت، بل تجعله يُعاش.

ريكويم – موتسارت

عمل كتبه وهو يموت. الأصوات لا تصرخ، بل تتأرجح بين الرجاء والفناء. كأن الموسيقى تعرف أكثر مما تقول.

الموت والفتاة – شوبيرت

الموت ليس جلادًا، بل قوة حتمية هادئة. الحوار هنا ليس صراعًا، بل استسلامًا واعيًا.

السيمفونية التاسعة – غوستاف مالر

وداع طويل، بطيء. لا انفجار، بل انطفاء تدريجي، كأن الموسيقى نفسها تموت.

4.33 – جون كيج

الصمت ذاته. غياب الصوت كتمثيل خالص للعدم. لا موتٍ يُحكى عنه، بل موت يُجسَّد.

السينما – الموت كفكرة بنيوية

أفلام أيقونية كثيرة تناولت فكرة الموت بطريق مختلفة نذكر منها :

الختم السابع

الموت شخصية تحاور الإنسان. الشطرنج هنا استعارة للوقت المسروق من النهاية. السؤال ليس كيف ننجو، بل ماذا نفعل قبل أن نخسر.

إكيرو

حين يعرف الإنسان أنه سيموت، يبدأ لأول مرة بالتفكير في معنى الأثر. الموت هنا كاشف، لا خاتمة فقط.

ميلانشوليا

نهاية العالم بلا صراخ. الموت كحقيقة كونية باردة، لا تحتاج إلى تبرير أخلاقي أو عاطفي.

سينكدوكي نيويورك

الحياة مشروع غير مكتمل. الموت ليس مشهدًا، بل بنية الفيلم كلها.

الأدب – الموت بوصفه فكرة لا حدثاً

في الأدب، لا يظهر الموت بوصفه توقف الجسد فحسب، بل بوصفه انكشاف المعنى، أو انهياره. الرواية، بخلاف الفنون الأخرى، تملك امتياز الزمن : تستطيع أن تراقب الإنسان وهو يتقدّم ببطء نحو نهايته، وهو واعٍ بها، أو هارب منها، أو غافل عنها .

روايات عالمية واجهت فكرة الموت مباشرة

موت إيفان إيليتش – ليو تولستوي

موتٌ بلا بطولة ولا معنى مُسبق. يكشف تولستوي كيف يمكن لإنسان أن يعيش حياة صحيحة اجتماعيًا، ثم يموت مرعوبًا لأنه لم يعشها حقًا.

الغريب – ألبير كامو

الموت هنا عبثي، بلا قداسة ولا تفسير. الإعدام مواجهة عارية مع لامعنى الوجود.

قصة موت معلن – غابرييل غارسيا ماركيز

نهاية معروفة مسبقًا تحدث رغم الجميع. تفكيك لوهم الإرادة أمام الحتمية.

الإخوة كارامازوف – فيودور دوستويفسكي

هل يبقى المعنى إن كان كل شيء فانٍ ؟ الرواية تحاكم الإيمان والأخلاق على ضوء الموت.

الموت في البندقية – توماس مان

الفناء كانجذاب هادئ نحو الانحلال، لا كحادث قسري.

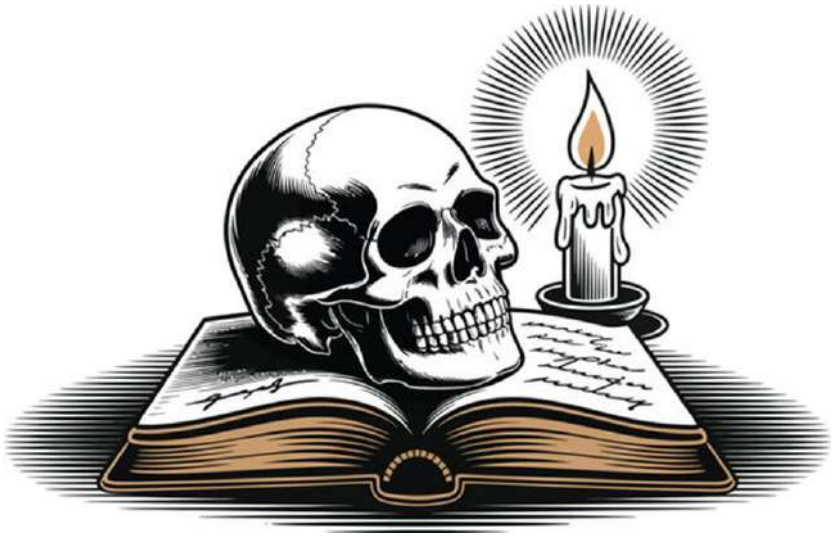

الموت في الشعر – بوصفه قانوناً وجودياً

المتنبي ينشد بتشاؤم :

كفى بك داءً أن ترى الموتَ شافياً

وحسبُ المنايا أن يكنّ أمانيا

هنا الحياة قاسية لدرجة تجعل الموت أهون من الحياة .

أما **أبو العتاهية** فيقول :

لِدوا للموت وابنوا للخراب

فكُلُّكُم يصيرُ إلى التراب

وهنا يذكّرنا الشاعر بأن كل بناءٍ وجهدٍ في هذه الدنيا سينتهي إلى الموت والفناء، وأن مصير الإنسان واحدٌ محتوم إلى التراب.

ثم يطل علينا **أبو فراس الحمداني** ليضيف :

حملت على ورودِ الموت نفسي

وقلت لصحبي : موتوا كراماً

ويعبر الشاعر هنا عن الجرأة في مواجهة الموت، ويحثّ رفاقه على أن يموتوا بكرامة وشرف، لا بالخضوع أو الذل.

في حين يبدع **البحتري** بالقول :

كل شيءٍ إلى زوالٍ حتى العزّ

والموتُ أعظمُ زوالٍ للخلود

فيؤكد مجدداً أن كل ما عليها فان و يبقى وجه الله ذو الجلال و الإكرام .

و أخيراً و ليس آخراً يلخّص **سيوران** حقيقة الخوف من الموت بإيجاز فريد :

ليس الموت ما يُرعب

بل أن نكون قد عشنا بلا ضرورة.

شعر عميق يوضح أن الإنسان الذي يترك أثراً طيباً خلفه لا يموت و يبقى ذكره خالداً ، أما النقيض فهو الحياة العبثية التي يموت فيها صاحبها قبل موته النهائي و بعد موته أيضاً عندما لا يخلّف وراءه ما يحيي ذكره .

حين يتوقف الفن عن الرثاء ويبدأ التفكير

حين يتناول الفن الموت بوصفه مفهومًا، يتخلى عن البكاء، وعن التجميل، وعن الوهم.

لا يعود الموت مأساةً شخصية، بل حقيقة كونية، كالجاذبية، كالصمت، كالنهاية الحتمية لكل شكل.

الفن لا يهزم الموت، لكنه يجرؤ على النظر إليه طويلًا. وفي هذا النظر الطويل، يولد أعمق ما في الإنسان :

الوعي، والسؤال، والأثر.

الموت ...

محتوى الكتاب

- الموت بين الشائع و الطب
  - الموت في مقبرة التاريخ
- الألم و الموت
  - الموت من منظور الأديان
- الحيّ الذي لا يموت
  - عاد من الموت
- **DIE HARD**
  - الموت الرحيم
- الموت في الأساطير الشعبية
  - الموت في عالم الفنّ